

الكتاب العربي

٢

كمال جنبلاط



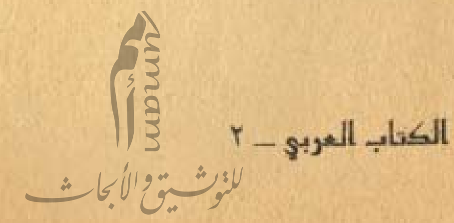
حقيقة الثورة اللبنانية

دار النشر العربية



للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research





الكتاب العربي ـ ٢


للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

حقيقة الثورة اللبنانية

الدوافع الحقيقية للانتفاضة اللبنانية الاخيرة ...




للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

حقيقة الثورة اللبنانية

كمال جنبلاط

الدوافع الحقيقية للانتفاضة اللبنانية الأخيرة ...

الكتاب العربي ٢

دار النشر العربية

سلسلة شهرية
ثقافة عربية

الكتاب العربي ٢
شباط ١٩٥٩

توزيع المكتب التجاري
بيروت

مقدمة



سنحاول ، في هذه الرسالة الصغيرة ان نحلل وان نجلي الدوافع الحقيقية الرئيسية للثورة اللبنانية التي اندلعت نيرانها في التاسع من شهر ايار ، إثر مقتل المغفور له الشهيد نسيب المتني . واننا في هذا البحث المقتصر ، سنقول الحقيقة كما تبرز لنا من خلال دراستنا للتاريخ اللبناني الحديث وخاصة منذ بدايات القرن التاسع عشر حتى ايامنا هذه ... وهذه الحقيقة لا يمكن ان تنفصل عن مختلف التيارات الاجتماعية والسياسية والحضارية التي تفاعلت مع تطور الوضع اللبناني منذ ان تلقفت هذه الشواطىء واحتضنت ، إلى حد ما ، بعض اشعاعات حضارة اوروبا ومبادئها السياسية والديموقراطية في المساواة وفي تقرير المصير وفي حكم الاكثرية وفي مدنية

الدولة ، وذلك قبل وبعد حملة نابليون الاول على مصر وسواحل فلسطين (عكا).. ولا يمكن ايضاً فصل هذه الحقيقة عن تيار الوطنية العربية والقضية العربية النامية المتطورة في وتيرة عاجلة وبسرعة تصاعدية متزايدة كلما اقتربنا من بدايات هذا القرن الذي نعيش على شرفة منتصفه الثاني،حيث بدأت تتجلى لنا وتتصور في المقبل القريب تصاميم الوحدة العربية ..

ولا بد ان كان لقصة « الفساد والافساد » على هذا الشاطىء الفينيقي في عقليته ، المركنتيلي (التجرلي) في طريقة مواجهته للاحداث ولوقائع الاجتماع والسياسة والاقتصاد . لا بد ان كان لعامل الفساد والافساد ،الذي بلغ اوجه التاريخي اذا امكننا هذا التعبير في عهد شمعون ، أثره البالغ في النقمة الشاملة التي دفعت بعجلة الثورة إلى الانطلاق .. وقصة الفساد ودافع الافساد هو قديم كقدم البشرية على وجه الارض ، وبشكل خاص منذ برزت ونمت المبادلات التجارية في العهد البرجوازي التجاري في حياة الشعوب .. وهذا الشعار ذاته نراه ماثلاً وراء كل مطلب وكل انتفاضة في لبنان وخاصة منذ ان تبلورت وبدأت تنمو معالم التجارة والصناعات الخفيفة التحويلية — صناعة الحرير — حوالي منتصف القرن

الماضي.. وكان الاصلاح في لبنان منذ بداية عهد المتصرفية واثر نظام ١٨٦٤ الطائفي، الذي لا تزال الدولة اللبنانية الحالية امتداداً له لا اكثر، عنقاء مغرب أو الحلقة المفقودة التي يفتش عنها الناس عبثاً وينشدونها في محاولتهم تحقيق شيء من العزة والكرامة والنزاهة والمساواة الحقيقية والعدالة.

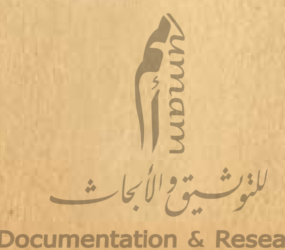
ولا يمكن اخيراً وخاصة عزل هذه الحقيقة كما لم يمكن عزل لبنان وتطوره عن الايادي الغريبة اللاعبة بمقدراته والتي لا تزال اهدافها هي هي ذاتها تقريباً لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحوّل منذ منتصف الجيل الماضي.. فحيثما وجدت اقلية في الشرق العربي وفي كل بقعة من بقاع آسيا وافريقيا وسواها من القارات، تحاول وحاولت الدول الاجنبية المسيطرة ان تستثير الاقليات العنصرية او الدينية، وان تنمي، بمختلف الاساليب، شعورها الطبيعي الساذج البدائي بمركب الحذر والخشية، وان تستخدم هذه الاقليات «كحصان طروادة» او كطابور خامس فتؤسس عليه فيما بعد سياسة التفرقة وبعث روحية الاختلاف واثارة الفتن وابراز التناقض.. ثم تأتي مرحلة يستحيل فيها التعايش الاجتماعي السلمي بين ابناء الشعب الواحد، فتكون مشاريع التقسيم وفكرة اقامة

الدويلات الصغيرة جاهزة مصممة خطوطها الكبرى في درج دوائر الاستخبارات ووزارات الخارجية الاجنبية، فتبرز آنذاك الى الوجود لكي تغرس على الشواطىء وتبرز على خريطة الشعوب والامم التي كانت سابقاً ولا تزال منسجمة في عناصرها وفي تقاليدها ومنصهرة في وحدتها وفي تطورها ومصيرها، بقعاً ملونة صغيرة وحلقات متعرجة صفراء او خضراء هي تماماً «كالوتد» الذي خلفه ونصبه وراءه «جحا» في القصة الشعبية المعروفة..

سنكون صريحين فيما نقوله، ولو اغضب ذلك بعض اخواننا. ممن نحبهم ونحترمهم.. لان تاريخ لبنان حتى الساعة في معظمه تاريخ مزوّر، في كل ما لهذه الكلمة من دلالة، ونهجنا السياسي المنبثق من هذا المفهوم المنحرف والمشوه للتاريخ اللبناني وللسياسة اللبنانية هو ايضاً نهج مزوّر، واكثريتنا في لبنان نعيش على غير ما نقوله في ازدواجية تظهر للقريب ما نبطنه عن الفريق البعيد، كانها تكريس لما تعلنه الآية المعروفة: «الدبلوماسية هي فنّ اخفاء الحقيقة»..

ولا بد ان كان لهذا **التكاذب المشترك، لهذا الخداع المتبادل**، لهذه الفريسية ... ويجب ان لا نخاف من تحديد

الاشياء باسمائها — اثره واثرها البعيد في تأخير تطور الشعب اللبناني نحو الوعي الراقي ونحو الديمقراطية السليمة ونظـام الحـكم المدني الصحيح ، كما كان لهذا العامل النفسي فعله في عدم تحرير الدستور والافكار السياسة من آثار المذهبية الدينية والاقطاعية الطائفية التي علقت بها وجرت اليها من رواسب العصور ...




للتوثيق و الأبحاث
Documentation & Research

١ | الفساد والإصلاح


للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

منذ ان وجد لبنان الحديث اي بشكل خاص منذ ان تكونت له ادارة في نظام ١٨٦٤ وقام له مجلس للادارة واوضاع بلدية في القرى والأحياء معروفة ، كانت ولا تزال قضية الفساد وضرورة القضاء عليه واجراء بعض الاصلاحات الأساسية في الجهاز العام ، كانت هذه القضية ولا تزال محوراً للسياسة اللبنانية المتطورة ، يتخذها شعاراً لنضالهم السياسي ارباب الجيل الجديد الطالع الواعي لاهداف الصراع الشعبي الأخير في كل مرحلة من مراحل نموها وتطورها ، « فيتعمشقون » (يتسلقون) على قضية الاصلاح والفساد على حد المثل الدارج كمن يصعد السلم او كمن يتسلق الجبل .. ثم عندما تعلو موجة الفساد ويطغي على الأندية العامة والخاصة نداء الاصلاح ، ينساق الجمهور اللبناني في الباب الذي فتح امامه في المقبل المجهول - واكثر الأحيان كقطيع غير منتظم من الأغنام خارج زريبته - فلفهم هذا الشوق الغريب

العجيب في نفس الانسان الذي يظل ينشد الأخطار وتحلو له المغامرة ويحب هذا العيش ما بين بين ، ولو لأجل قصير ، لفتة منه الى ما يميته الماضي فيـه ويزيله في تيـار الزمن الزاحف المتبدل عليه باستمرار - وهل يعيش المرء الا لمحة الحاضر اي وجوديـة الأزل في الهنيهة التي تقلصت منها الدقائق والثواني والهنيهات - ولفتة اخرى منه الى المستقبل الذي يتجـلى في شتى الصور الحسّية والعواطف والأفكار، كأن الدنيا تخلق في كل لحظة من لحظات الفكر والسمع والبصر .. وهي الحقيقة وهو الواقع ..

والناس في لبنان من الذين يتتبعون تيار المناداة بالأصلاح والنقمة على الفساد نوعان او صنفان :

— صنف يهيج فيه الضمير ويحن فيه شوق الوجود الى شيء أفضل وأرفع من خلال ظلمات بصيرته وتلبدات كثافة العلاقات المادية فيه ، على تدرج من حيث النور والظلمـة والإقدام والاحجام ..

وصنف آخر من ارباب المصالح يندفع في التيار عندما يبلغ الفساد أوجه، ويدرك ان ارضاء الجميع بالمصالح الخاصة ضرب من المحال ، وفي الإرضاء تخصيص وحرمان . وفي الإرضـاء

تفاوت مهما بلغ التصميم في توزيع المنافع الخاصة بالوسائل الفردية الخاصة طبعاً .. ثم ما من أحد يرضى بما كسبه ويبقى عنده بل يطلب على الدوام المزيد .. فتتعاظم من جراء ذلك ، وفي تدرج تصاعدي ، النقمة على السلطان الموزع للغنائم وللانعام .. ثم يتحسس «جماعة الاخوان المنتفعة» بان العهد بدأت تتزعزع اركانه ، وانه لا بد زائل كما يستدل من جميع التأرجحات والاحجامات والارتباكات الظاهرة. وليس من اللبناني المصلحي أقدر من ادراك « علامات الفلك » على حد تعبير الانجيل ، او كأن حاشية « الشم السياسي » هي حس سادس يتطور فيه ويتقوى ، فتبادر زبانية المصالح الخاصة الى قلب ظهر المجن للعهد الذي خدمهم وينصرفون في صفوف المعارضة...او يقفون موقف المحايد من السلطة التي ايدوها .. زد على ذلك ما تتضمنه المطاليب الطائفية في حقل توزيع المنافع والوظائف على المناطق وعلى الطوائف الستة عشر التي تؤلف شعب لبنان في تصفيه المحمدي والنصراني ، وكذلك مختلف نزعات وتوجهات الأحزاب العديدة القائمة ، يكون لك من كل هذا صورة ناطقة لوضع السياسة اللبنانية في حقل الفساد والاصلاح . « موزاييك » فسيفساء تتجمع

وتبعثر على الدوام ..

وفي سنة ١٩٥١ وبعد محاولات عديدة أجريناها في جبهة الاصلاح الأولى (سنة ١٩٤٤-١٩٤٥) - في عريضة الوجهاء كما اسموها -- وفي لجنة التحرير الوطني (سنة ١٩٤٧) وبرفقة بعض الاخوان وعلى رأسهم المرحوم عبد الحميد كرامة، انبثقت من انتخابات صيف ١٩٥١ الجبهة الاشتراكية الوطنية وقد أسسناها مع فريق من اخواننا أعضاء المجلس النيابي المعارضين الناجحين في تلك الانتخابات، وكنا شخصياً اميناً عاماً لهذه الجبهة، أي مبدئياً وعملياً الموجه لها والناطق باسمها .. وكان الحزب التقدمي الاشتراكي الدعامة الرئيسية في تكوين هذه الجبهة البرلمانية التي أخذت على عاتقها توجيه الجمهور اللبناني الى برنامج منسجم واضح. وتصميم علمي وعملي للاصلاح المنشود في لبنان — وذلك ربما لأول مرة في تاريخ البلد اللبناني — وكان للجبهة نهج سياسي تطبيقي مستمد في الواقع من روحية الأحزاب الفتية المندرجة فيها .. فاستطاعت المعارضة الشعبية بعد مدة وجيزة ان تتفاعل تفاعلاً عميقاً مع أماني الشعب اللبناني وأن تقبض على ناصية التوجيه والتحريك المباشر .. وكانت مقالتنا

الرئيسية التي نشرتها «جريدة الأنباء» الاشتراكية ، نقطة انطلاق الثورة اللاعنفية «البيضاء» في صيف سنة ١٩٥٢ والتي لوحقت لأجلها صحيفة الأنباء .. ثم تبنى المقال، بشكل استجواب للمجلس النيابي ، اعضاء الجبهة فبادرت السلطة بسبب ذلك الى تعطيل احدى عشرة صحيفة يومية نشرت هذا الاستجواب وأحالتها الى المحاكمة .. ولا يزال عنوان المقال الذي اثار تلك العاصفة عالقاً في كل ذهن : «جاء بهم **الأجنبي فليذهب بهم الشعب»** ..

والحقيقة انه كان للبريطانيين اليد الطولى في ايصال اعضاء الكتلة الدستورية الى المجلس النيابي سنة ١٩٤٣ وثم الى الحكم .. وتدخل الجنرال سبيرس وتدخل دوائر السفارة البريطانية في بيروت ودوائر الاستخبارات لديهم لمحاكمة المرشح الرئيس اميل اده الذي كان يدعمه الافرنسيون ودوائرهم آنذاك امر معروف .. هكذا كان واقع البلاد في تلك الفترة ، لضعف تكوين النضال الشعبي اللبناني ، وتأثره بشتى المصالح الشخصية والطائفية والرجعية والأجنبية ..

وكان بين بين أعضاء الكتلة الدستورية من اتصفوا بالوطنية الصحيحة والعروبة السليمة و بعضهم ايضاً من عرف

باتصالاته الأجنبية وعلاقته المباشرة بدوائر الاستخبارات البريطانية بعد ان كانوا يمارسون مثل هذا الارتباط بدوائر فرنسا . ولا يزال الوضع السياسي اللبناني بعد الثورة الأخيرة على شيء من هذا ، لأن البلاد لم تتطهر تماماً بعد من «الوطنيين الأجانب» كما نلقبهم ، ولا يزال رعيل احتياطي آخر من هؤلاء السياسيين تحاول الدول الاجنبية ان تدفعه ليحل مكان الرعيل السياسي السابق الذي افتضح امره واحترق ..

(وكان شمعون عضواً سابقاً في الكتلة الدستورية ،وعضواً نافذاً نظراً لما كان يقوم به في بعض المناطق الانتخابية من خدمات شخصية وحكومية . وكان يتلبس العروبة ويظهر للناس بمظهر العربي المتطرف ، وكان يتهمه الكثيرون بفكرة الوحدة العربية ، وكان سفره الدائم الى العراق ونشاطه واتصالاته بالاوساط العربية مبعثاً للدعايات بأنه يسعى لتحقيق مشروع الهلال الخصيب .. وكان ابرز للمشاريع البريطانية «السعيدية» العربية آنذاك ...)

ثم كان اجتماع دير القمر الشعبي الشهير الذي دعونا اليه باسم الجبهة الاشتراكية الوطنية وفوداً من مختلف مناطق لبنان ..

ثم اعلن الاضراب الشامل العام الذي ما لبث ان تنازل على اثره الرئيس الشيخ بشارة الخوري ، مؤثراً حقن دماء اللبنانيين على الاستمرار في الحكم بوسائل قد لا تفيد ولا تليق لاجل البقاء ..

وفوجئت المعارضة بخلو سدة الرآسة، وما كانت تقصد من الاجتماعات الشعبية ومن الاضراب الا الموافقة على تأليف حكومة اصلاح وطني تضع حداً لفساد جماعات الاخوان والاقطاعيين والمحاسيب ، وان تظفر بحل المجلس النيابي الذي انبثق عن انتخابات ١٩٤٧ المزورة .. ولكن عجلة الثورة ، عندما تنطلق ، يصعب احياناً ضبطها وخاصة عندما لا يتوفر جهاز منتظم حزبي شامل ليمسك مفاتيح التوجيه ومقاليد القيادة من «داخل الشعب» لا من خارجه فقط ..
ثم يبدو ان دول الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا التي كان قد صدمها الشيخ بشارة الخوري وجمهور الزعماء والسياسيين من ورائه — فيما عدا القلة منهم ومن ضمنهم كميل شمعون واميل البستاني وغسان التويني والكتلة الوطنية والحزب القومي السوري والكتائب وسواهم على ما نذكر — في تنفيذ مشروع الدفاع المشترك الغربي ، وكان الحزب التقدمي

الاشتراكي قد اخذ مع اليساريين مبادرة الهجوم على الحلف الاجنبي ... فأفاد بعض مندوبي الدول الاجنبية الكبرى هذه في بيروت من الازمة السياسية ودفعوا بها الى تطورها الاقصى بواسطة شبكاتهم المحكمة الموزعة في البلاد ، مما شجع ولا شك بعض النواب ممن هم خارج الجبهة الاشتراكية الوطنية - نواب طرابلس وسواهم آنذاك - الى التقدم من المجلس النيابي بطلب استقالة رئيس الجمهورية .. وقد يكون لدافع الغيرة والمزايدة في المطالب اثر فيما اقدم عليه هؤلاء النواب .. على ان الواقع ان «الثغرة» في درع الدفاع عن الحاكم الأول في البلاد انفتحت ، وما لبثت الجماهير والأحزاب ان تدفقت فيها ، خاصة بعد ان اصرّ الرئيس بشارة الخوري على عدم تشكيل حكومة اصلاحية من عناصر المعارضة ومن المحايدين ترضى عنها الجبهة الاشتراكية الوطنية .. وكنا آخر من وقع على طلب لاحق يهدف الى استقالة رئيس الجمهورية ، و بعد ان تأكد لنا من خلال مفاوضاتنا مع السلطة — بواسطة اللواء شهاب ذاته -- عقم هذه المفاوضات لتعنت السلطة في موقف لا يتفق مع التيار الجارف في البلاد ، و بعد ان حاولنا عبثاً بمعزل عن الجبهة ، وبرأي من الجبهة ايضاً ان ننقذ ما

يمكن انقاذة .. وتقدم رؤساء الحكومات السابقين ومن ضمنهم عبد الله اليافي والعويني وسلام والملا وسواهم من ممثلي المسلمين بعريضة يرفضون فيها قبول اي مركز مسؤول في العهد القائم ..

ثم لما شغر الكرسي الأول ، اخذ الخاطبون لودّ الرئاسة من الشخصيات المارونية يتقدمون و يعرضون ازياءهم وقامة مواهبهم المعنوية على مسرح من المساومات والالتماسات والدفع والقبض ومناورات الكواليس وايماآت الدوائر الاجنبية مما يصعب تصوره للذين لا يعرفون لبنان « بلد الاعجاز والالغاز » على حد تعبير المفكر الكبير فكري اباظة..

— والتقليد يقضي كما هو معروف ان يتبوأ الرآسة الاولى شخص ينتمي الى الطائفة المارونية مولداً ، ولو كان ملحداً بدينه كافراً برسوله وبأنجيله .٠ هذا هو التقليد في بلد تقوم فيه الطائفية السياسية مقام الدين .. وبكلمة فان خمس لبنان يحكم البلد بواسطة رئاسة الجمهورية — والموارنة خمس اللبنانيين — وخمس لبنان الآخر — السنة — يحكم البلد بواسطة رئيس الحكومة ، والشيعي والدرزي وارثوذكسي والكاثوليكي والارمني والاشوري والكلداني وما الى ذلك

يحكمون لبنان هذ الخمسه وهذا بسدسه وهذا بعشره وهذا بجزئه الخامس عشر والعشرين والثلاثين كأننا في نظام العشائر والبطون والأفخاذ ..

والمشكلة ايضاً ان كل رئيس ماروني يسكب همه الوحيد منذ بداية ولايته حتى نهايتها في ان يضعف كل شخصية مارونية اخرى في البلاد أكانت صديقة له أم مناوئة ، وذلك لأجل ضمان تعديل الدستور والتجديد في آخر المطاف ..

وتتعقد المشكلة عندما ندرك ان وراء كل شخصية بارزة على مسرح السياسة الوطنية ، دولة تسانده وتعاضده « كالشاعوب » الذي تسند اليه وتربط به الشجرة الصغيرة النامية .. فالشخصيات المارونية السياسية الوطنية المتحررة يمنعون على الدوام من ابراز رأسهم ومن الظهور ، والرأي العام الماروني المسيطر القلق على مصيره والمتمسك ضمناً بتقاليد الطائفة في الارتباط بالسياسات الدولية الاجنبية يطمسهم على الدوام ويعيدهم الى الوراء .. ولذا بعد ان ساهمت الأوساط المسيحية والمارونية في الحركات الوطنية والعربية منذ منتصف الجيل الماضي وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى ، ارتدت قليلا إلى الوراء في تعثرها بمركب الاقلية النامي تحت تأثير الدعايات

الاجنبية وشتى الظروف الداخلية والخارجية، واضحت الاوساط المحمدية هي — مع الفئات المسيحية المتحررة من اشتراكيين ويساريين ومثقفين وقوميين عرب وبعض الانتهازيين — مركز الثقل في السياسة الوطنية والعربية اللبنانية .

وهكذا لم يبرز في الواقع ، بعد ثورة خريف ١٩٥١ السلمية الا شخصيتان مارونيتان سياسيتان احدهما الصديق حميد فرنجيه والأخرى كميل شمعون « المستعرب » او الغاطس في العروبة على قدر ما كان يطوف ويجول في بلاد العرب ويدافع عن فلسطين والذي كان يبدو في الظاهر متلبساً عروبة من رأسه إلى اخمص قدميه ، إلى درجة انه اتهم بالدعاية للوحدة العربية ، وكان الشارع البيروتي يقول عنه : « هذا مسلم وليس بماروني !. »

ويذكر الجميع ان السياسة الاجنبية البريطانية آنذاك كانت تدعي مساعدة العروبة ونشر فكرة الوحدة وتدعو عملائها واصدقائها للتظاهر بمماشاة هذا التيار ما طاب لهم ، على ان تفيد في الباطن وفي الواقع من هدم الفكرة العربية ذاتها وتقويض تطورها او جعله ينسجم مع مصلحة بريطانيا في الشرق .. واغرب المشاهد ان معظم الزعماء « الوطنيين »

او «القوميين العرب» في العالم العربي كانوا لا يسكن لسانهم عن نداءات الوحدة وصرخات العروبة والتغني ليلاً نهاراً بقحطان و بعدنان ويعرب ، بينما لم يقدم احدهم عملياً على تحقيق هذه الوحدة وهذه العروبة .. وكان عملهم وتفكيرهم وسعيهم خلاف اقوالهم .. ولا تزال حال الكثيرين ممن يعملون في لبنان وفي البلدان العربية على هذا المثال : عروبة طلاء النحاس بالفضة : انت لا ترى سوى الفضة المطلية وهو كان ولا يزال يرى نفسه انه نحاس ..

ونحن الذين فوجئنا باستقالة الشيخ بشارة الخوري ، كنا ندرك ونعلم ارتباطات شمعون الخفية ، وانه كان احد الاعضاء المناضلين سنة ١٩٤٣ لأجل السيادة والاستقلال في الظاهر ، والمقيدين ، في الواقع ، بسلسلة دوائر الاستخبارات البريطانية السرية ، بعد ان كان يمارس مثل هذه المهنة بالنسبة للافرنسيين ، حاولنا عبثاً ان ندفع باللواء شهاب الى ترشيح نفسه ، وأوقفنا اتخاذ اي قرار للجبهة في موضوع شمعون او سواه بضعة ايام كانت البلاد فيها تتقلب على جمر الحيرة ، كي يتم ما قام به امناه من حملة الضغط والاقناع والتشويق على اللواء الزاهد بالتعاون مع فريق

كبير من الوطنيين اللبنانيين ومن ضمنهم على ما نذكر هنري فرعون وتقي الدين الصلح وعلي بزي وحميد فرنجية والشيخ بشارة ذاته الخ ، لأجل اقناع قائد الجيش بترشيح نفسه وانقاذ البلاد من الورطة التي كنا بصددها ، ومما سيحدث في عهد شمعون ، وفي حدسنا ، لو قدر له ان تسلم الاحكام ..

ولما يئسنا من اقناع اللواء شهاب الذي كان يبدو كأنه امام كأس غابة الزيتون المرير او كمن يدور برأسه عن هدية الرئاسة المقدمة اليه على طبق من ذهب — وكان ينعم آنذاك بتأييد اللبنانيين كافة — وبعد ان حاولنا تركيز الترشيح على شخصيات كالرئيس الفرد نقاش وسواه من الذين كان يعوزهم ان يخرجوا ليعملوا بنشاط للرآسة ، لا ان ينتظروا ان تأتيهم الى البيت ، وبعد محاولة التحكيم الخطي التي تقدم بها منا الصديق حميد بك فرنجية وأوكلنا شخصيا بأمر اجرائها بينه وبين كميل شمعون لاختيار الرئيس العتيد ، وبعد ان قبل شمعون بالتحكيم عاد وتنكر ، كان لا مفر للجبهة الاشتراكية من تأييد شمعون لانتخاب الرآسة وقد اخذ النواب يتكتلون حوله واخذت تسرع في توفير الاكثرية النيابية ايد اجنبية خفية معروفة .. وكانت الاكثرية

الاسلامية النيابية قد ركزت اختيارها على شمعون وخاصة و بعد ان اتخذ رئيس دولة سوريا اديب الشيشكلي موقفاً في الامر .

فأخذنا من شمعون المواثيق الخطية كجبهة وكحزب حول سياسته العربية والوطنية المقبلة وحول نهج الاصلاح ومبادئه التي اقسم بشرفه ومعتقده بأنه سيسعى لتحقيقها .. ثم انتقلنا به الى غرفة قيادة اللواء شهاب ، لكي يتعهد مجددا امام اللواء بما قام به ازائنا خطياً ومعنوياً وكي يكون قائد الجيش ضامناً وكفيلاً لهذه التعهدات ..

ولكن ما لبثت هذه التعهدات ان تبخرت ونسي الرجل كل ما كان يربطه بنا ، وانقلب رأساً على عقب ضد الجبهة والحزب ، سراً ثم علانية ، لما توفر له تركيز سلطته في الادارة وفي الدولة .. اما الاصلاح فكان نصيبه تلك المراسيم الاشتراعية الموتورة التي لا يدري احد من هو الذي كتبها لشمعون ليوقعها هو بدوره وينشرها .. وكان هدف شمعون من الاصلاح ، على ما بدا تكريس الفساد السابق القائم في الدولة وفي السياسة اللبنانية ، والامتناع عن اي تطهير فيما عدا الذي يتلاءم مع تحقيق بعض مصالحه الشخصية ، وكان الاصلاح فيما بعد ان

اضاف شمعون واعوانه المباشرون على الادارة وعلى البلاد «طبقة جيولوجية» اخرى كثيفة من الفساد والافساد والرشوة والمحسوبية والاثراء غير المشروع واستغلال النفوذ واستثمار الشركات وخيرات البلاد لا يتصورها العقل، لما ذهبت اليه من امعان في حقل استخدام السلطة لافساد اللبنانيين، ولتشويه ضمائرهم ولاسترقاقهم بواسطة الوظائف والمصالح والوعود ووضعهم في طريق التجارب والرغبات ...

وأفاد شمعون من السلطات المطلقة الممنوحة له ولحكومته — حكومة مؤلفة من الموظفين — لتعيين بضعة آلاف من الموظفين الجدد ولتسليم «المراكز الحساسة في الادارة» وفي السياسة الى من عرفوا باتصالهم بالدوائر الأجنبية وخاصة البريطانية منها وبانتسابهم اليها ..

وبلغ في عهد شمعون الفساد مبلغاً، كان لا يمكن احدهم ان يحصل على حاجة له في الدولة او على توقيع على معاملة من موظف او وزير — فيما خلا النادر — إلا بتأدية ما يتوجب عليه من رشوة، وكان شمعون ذاته يحيط نفسه بفرقة من السماسرة، تتعاطى الوساطة بينه و بين اصحاب المصالح فتتقاضى باسمه و باسمها المبالغ الطائلة في مقابل المراسيم — مراسيم

مبيع الأراضي لغير اللبنانيين وسواهـا ـ التي كان يوقعهـا .
وكانت لا تؤسس شركة مساهمة في لبنان تقريباً إلا بعد ان
يقدم لشمعون واخوته واعوانه المباشرين «هدية» من الأسهم
او من الأرض او من المال .. وازدهرت في عهده ازدهاراً لم
يسبق له مثيل في لبنان تجارة المخدرات والمقـامرة وحشيشة
الكيف والرقيق الأبيض وبيـوت الدعارة لمصلحـة صاحب
السلطان واعوانه .. وانهزمت الأخلاق العامة الى درجة ان
تعاطى بعض القضاة انفسهم مثل هذه الاعمال .. وتعـاطى
هو شخصياً واعوانه امر شراء الاراضي التي تكون دوائر
الدولة قد خططتها سراً ، ثم بيع هذه الاراضي بأرباح طائلة،
وكان يتقاضى هو واعوانه لحماية شركات الاحتـكار وبعض
المعامل الرواتب السـرية .. وكانت الأوسمة ذاتهـا تبـاع في
الاسواق لمستحقيها ولغـير مستحقيها ..

ويكفي هذا القدر اليسير لكي ندرك ان انتشار الفساد
على انواعه والوانه في عهد شمعون كان إحدى الأسبـــاب
الرئيسية للثورة التي وقعت في لبنان والتي انفجرت بالرغم من
الازدهار الاقتصادي الظاهر الناجم معظمه عن ان بيروت
تحولت في العهد السابق إلى « علبة ليل » للامراء وارباب

رؤوس الأموال العرب ، والى محطة «كوسمو بوليتية» للتجارة الدولية وخاصة الثلاثية منها على طريقة طنجة وهونكونغ ، في محاولة جامحة لافساد وجه لبنان ذاته ولتشويهه وتجريده من كل طابع ملازم عربي او لبناني اصيل ، في اضخم مشروع «لفينقة» لبنان ولتقطيع اوصاله الروحية مع الماضي ومع الجوار ومع ذاته ..

وهكذا و بعد مرور ستة اشهر فقط على انقلاب ١٩٥٢ بدأ العهد ينكص على اعقاب الفساد .. وحاولنا جهدنا في السرّ والعلانية لمنع هذا الانحراف . ولكن توجيه النقمة واستثارتها وتحديدها ودفعها نحو اهدافه اسهل في بلد كلبنان تعدّدت فيه الطوائف والنزعات والمصالح ، من توجيه الثورة الى شيء ايجابي . وبفعل التحاسد والغيرة في لبنان ما لا يفعل في بلد آخر .. وأخذ التسابق على المغانم وعلى الكراسي يجذب «اخواننا» من ارباب المعارضة السابقين ، وهم لا يدركون الخطر من امامهم في التزلف والالتفاف حول رجل نسي المواثيق المكتوبة وكفر بالعهود المقطوعة وضرب بقسم مؤتمر دير القمر الذي دعوا اليه عرض الحائط . ولم يفطنوا الى الحقائق التالية :

١ — ان السياسة الاجنبيـة تهدف — ان هي استطاعت — من خلال الثورات والانقلابات ، الى تبديل اللاعب ، اما الدور فتريده ان يظل هو ذاته في خدمـة مصالحها واغراضها ..

٢ — ان سياسة تفرقة الجبهة الوطنية وتجزئتها ومناقضتها بعضها لبعض هي احدي المقدمات التي ترمي هـذه السياسة الاجنبية الى تحقيقها فور خمود الثورات وانتصار الانقلابات.

٣ — ان سياسة الفساد والافساد ونشره وتعميمه هي من صلب منـاهج الاستعمار ، وهي التمهيد الطبيعي لعرض مشاريعه وتحقيق اغراضه المباشرة .. فالفساد هو الافيون الذي يسكر الشعوب و يدوخها فيجعلهـا قابلة لما ترفضه في عهود النهضة والانطلاق الخلقي وتكريم القيم ..



٢ | التجديد أو مرض الرؤساء




umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

الافساد والفساد ، والمحسوبية والزبانية ، وتأسيس الحكم على المصالح الافرادية ، والتزلم والتزعم المصلحي الرخيص ، هذا العقد الجهنمي بين الرئيس والمرؤوس ، بين المتنفذ او الزعيم والمواطن البسيط ، يقود كل مسؤول في الدولة الى المحافظة على مركزه الى ابعد ما يستطيع ذلك من حيث الامتداد الزمني واطلاق السلطة ..

فالحكم في لبنان، كما كان معمولا به، في زمن الافرنسيين وفيما بعد في عهد الاستقلال « بقرة حلوب » يفيد منها صاحبها و يفيد منها ايضاً الاجراء والخدام . والسياسة كانت سباقاً بين الحاكم والمحكوم لاستدرار الحليب ، وتوزيعه على الانصار وادخاره الى ما بعد تقلص النعمة وجفاف الينبوع وزوال مدة خدمة الموظف وولاية الرئيس ..

فهذه الحلقة المفرغة الجهنمية من الفساد والمصلحية الرخيصة التي تحوم وتدور على الدوام حول رشوة الوظيفة

ورشوة المال ، ورشوة النفوذ ، جعلت الرؤوســاء والموظفين يتشبثون باطالة بقائهم ما امكن .. والمحاكم اللبنانية تزدحم على بابها طلبات تصحيح السن وتصغيره .. و بعض الموظفين القدماء المسنين قد افرطوا في تقليص عمرهم الظاهر حتى اضحوا في الواقع كأنهم دخلوا الوظيفة في العاشرة او السابعة او ربما قبل ولادتهم .. فالوظيفة في لبنان مهنة او دكان تدر لصاحبها الارباح المشروعة وخاصة الارباح غير المشروعة .. فكيف يغادرها و يفارقها عن طيبة خاطر ..

وهكذا شأن الرآسات : اصبحت في لبنان وظيفة اكثر منها مسؤولية .. فرئيس الجمهورية ، وفق هذا الاصطلاح ، هو الموظف الأكبر في الدولة ، هــو الموظف الاول ، وانما انتخابه بواسطــة المجلس النيابي الذي يتم وسط المنــاورات المدهشة والمداورات و بذر الوعود والاغراآت والصفقات وما اليها ، ان هذا الانتخاب ليس هو إلا وسيلة واداة لا اكثر لبلوغ هذه الوظيفة الكبرى .. فالذهنية العامة المسيطرة لا تزال تعتبر رئيس الجمهورية متصرفاً أو والياً او قائمقاماً كبيراً ، لكثافة ما يزال عالقاً بها من رواسب عهد المتصرفية والولاة العثمانيين الذين حكموا فيما مضى البلاد .

وطبعاً يكون اول ما يفكر به رئيس الدولة ، فور استقراره في الحكم اي بعد مرور سنة او سنتين على حكمه ، هـــو التجديد ، تجديد الولاية الهنيئة السعيدة التي تدر على صاحبها وعلى اعوانه الواناً من فوائد الوجاهة والنفوذ والثروة . .

وقد احتاط الدستور اللبناني لهذا الشغف النامي والمتفاقم عند الرؤساء لاستمرار بقائهم في الـكرسي حتى بعد نهـاية ولايتهم ... فوضع نصاً صريحاً يمنع كل رئيس جمهورية اشرف على نهاية ولايته مـن ان يتقدم من جـديد ويرشح نفسه لولاية اخرى الا بعد انقضـاء ستة سنوات على نهـاية هذه الولاية .. واحاط الشارع تعديـل الدستور بضمانات وصعوبات وشروط لا يتم بدونها هذا التعديل . فالاكثرية المطلوبة هي ثلثا عدد اعضاء المجلس النيـابي في الحال الذي تتقدم فيه السلطة الحاكمة ذاتها بطلب هذا التعديل ، والاكثرية ثلاثة ارباع عدد الأعضاء ضرورية لأجل اقرار مبدأ التعديل ثم يكتفى بالثلثين في الحال الذي يتقدم فيها اقتراح من النواب انفسهم لاجراء هذا التعديل .

على ان مثل هذه الحصانة للدستور ظلت حبراً على ورق في ظل سلطة تنفيذية يكون فيها ـ نظـــراً لانقسام نواب

المجلس النيابي وتوزعهم على مصالحهم ، وبسبب تزاحم الزعماء السنيين على كرسي رئاسة الوزارة اياً كان الثمن واية كانت المساومات والتضحيات ـ ظلت هذه الحصانة للدستور ضعيفة جداً في ظل سلطة تنفيذية يكون فيها رئيس الجمهورية الحاكم الحقيقي المطلق الصلاحية ..

ولا يوجد في لبنان نظام صحيح للخدمة المدنيّة في الدولة ولا مجلس مستقبل للخدمة المدنية (الموظفين) ، فأقل الشركات التجارية انتظاماً تحوي ربما انظمة لمستخدميها أفضل وارقى بكثير من انظمة الموظفين في الادارة اللبنانية .. ورئيس الجمهورية هو في الواقع الذي يقوم بأعمال التعيين والترقية والصرف كما يرتأي وكما يشاء ، لأن الحكومة كما سبق اشرنا ، العوبة بين يديه للاسباب السابقة التي اشرنا اليها وسواها من الأسباب التي منعت حتى الساعة قيام اي نظام برلماني صحيح في لبنان . ونتيجة لتمرس رئيس الجمهورية مباشرة وواقعاً بصلاحيات التعيين والترقية والصرف ، فان الحلقة الجهنمية من المصالح الشخصية والمطامع الفردية تلعب هنا ايضاً دورها الحاسم في افساد الحكم اللبناني وفي استعباد ارادة رئيس الحكومة والوزير والنائب لمشيئة

رئيس الدولة ، بما يوزعه على انصار هؤلاء من وظـائف وترقيات واوسمـة ومنافع عمرانيـة واموال ، وبما يكيل لأخصامهم وانصار اخصامهم من اضطهاد وما يلحق بهم من حرمان .. وقد اضحت المعارضة في لبنان ضرباً من البطـولة الحقيقية وسط هذا الجوّ المسيطر من الطغيـان الشرعي والواقعي ..

و بدأ شمعون يفكر بالتجديـد على ما يبدو منذ السنـة الثانية من ولايته ، بعد ان كان تحول تماماً عـن النهج الأصلاحي في الحكم ، وتنكر بشكل قاطع نهائي لجميـع تعهداته ولمباديء الجبهة الأشتراكية الوطنية ، وظهر تماماً لمن له عيون لتبصر ، ان الرجل انمـا يهدف الى التسلط الاوتوقراطي الشخصي ، والى تنفيذ بعض المشاريع الأجنبية التي بدأت طلائعها تظهر في الأفـق القريب لسياسة الشرق الأوسط .. ثم عمد شمعون الى حل المجلس النيابي وتـأليف حكومة لإجراء الانتخاب يرأسها الصديق الأستاذ صائب سلام ..

وكان قد سبق له ان عدّل في السنة الأولى من ولايته القانون الانتخابي بمرسوم اشتراعي وانقص عـدد اعضاء المجلس النيابي من الـ ٧٧ إلى الـ ٤٤ عضواً ، ليتمكن مـن

اضعاف الاداة التمثيلية الشعبية الوحيدة في البلاد ، وحوّر وعدّل مناطق الأقتراع عاملاً فيها مقص الاقتطاع والتشويه والجمع والتوزيع، إلى ان تم له التحكم بمصير الأنتخابات النيابية... وبدا اذ ذاك انه يقصد، من وراء هذا العمل التشويهي، اضعاف الزعامات الوطنية والأحزاب الوطنيـة في البلاد ، وكان قصده الاول منـــع الحزب التقدمي الأشتراكي في بيروت وفي جبل لبنان وفي البقاع وفي الجنوب من ان يفوز بعدد وافر من المراكز النيابيـة .. وكان قصده الثاني تمكين بعض العناصر اللبنانية المعروفة بعلاقتها بدوائر الاستخبارات الاجنبية ، من النجاح في هذه الانتخابات ، رغم انفضاح هؤلاء « المواطنين الاجانب » والحملة الصحفية العنيفة التي شنتها الصحف في وجههم وحرضنا عليها واثرناها[1]

---

(١) ومن الطرف ما وقع في تلك الفترة التي سبقت الاقـتراع باسبوعين لا اكثر ، انه بلغنا ان اعوان شمعون وعلى رأسهم مغبغب والطرابلسي كانوا يتصلون بشكل مستمر بعسكري كبير بريطاني الميجور م . وبعض رفاقه الذين يبدو انهم جاءوا خصيصاً الى لبنان لأجل المساهمة في الانتخابات المذكورة وتوجيهها .. ولما تأكدنا الخبر من مصادر عديدة ومن شهود عيان ، فتحنا الهاتف على فندق البريستول حيث كان يسكن الميجور المذكور، وطلبنا محادثته ولم يجب على التلفون الا عندما قيل له ان نعيم مغبغب يريد التحدث إليه ... ولـكنه سرعان ما ادرك ان الصوت واللهجة ليست صوت ولهجة مغبغب .. فانقطعت المكالمة ..

وكان تقسيم الاقتراع على اسابيع متتالية وحشد قوى الامن والاعوان المباشرين وارباب الامن العام وشرطة التحري في كل منطقة انتخابية يجري فيها الاقتراع على التوالي وسيلة اخرى للاغراء ولتهديد الناخب والتأثير عليه . كما وانه اخذ شمعون بترويج الدعايات الطائفية منذ تلك الانتخابات التي وقعت في خريف ١٩٥٢ ، نافخاً في الاوساط المسيحية روح العصبية وموزعاً البيانات بواسطة اعوانه في بيروت وفي المناطق ومحرضاً رجال الاكليروس المسيحي والماروني بشكل خاص على مناهضة الحزب التقدمي الاشتراكي ومرشحيه .. وبلغ التحريض الطائفي مبلغاً دفع بعض الكهنة إلى قراءة هذه البيانات في الكنائس والتنبيه على المؤمنين المسيحيين بان يقترعوا ضدنا معلنين هذا التنبيه وهذا الطلب : « بان كمال جنبلاط سيصبح رئيساً للجمهورية اذا نجح مرشحو الحزب التقدمي الأشتراكي في الانتخابات النيابية » وكمال جنبلاط هذا هو « غير مسيحي من حيث المولد » .. وتكتل ضدنا وحاربنا ايضاً آنذاك بعض اخواننا من الزعماء السياسيين في بيروت وفي المناطق ، ومعظمهم اليوم اعضاء معنا في جبهة الاتحاد الوطني ، كما وان رفاقنا في الجبهة

الاشتراكية الوطنية كالتويني والبستاني واعضاء الكتلة الوطنية انضموا إلى الجبهة المناهضة لنا ، خاصة وكنا اعلنا صراحة اننا نتقدم من الناخبين على اساس محاربة مشاريع الاحلاف الأجنبية ومناطق النفوذ ومؤامرات الأستعمار لأبقاء التفرقة والتجزئة في النضال ضمن العالم العربي .. ومعظم الزعماء السياسيين في لبنان لا يعرون اكثر من مدى انفسهم وما يخبؤه لهم تعاسور الزمن من انتكاسات وردات وانحرافات هي ذاتها تكون منقوشة مغلفة في صميم اعماق بذور وقائع الحاضر .. فهم كلاعب الشطرنج على حد تعبير المستشرق الأستاذ «ماسنيون» الذي يصف الشرقيين بانهم لا يرون اكثر من انفراج الفسحة مباشرة امام الحجر الذي يمسكونه في يدهم. ومعظم الزعماء اللبنانيين هم كالذئب ، فان تقدم امامهم احد الرفاق وظهر في مجالات النضال الشعبي تركوه وحـــده ، وساوموا على وضعه . ثم انضموا إلى اخصامه مقابـل بعض المصالح الفردية او الوظائف العامـة . ثم هجموا على الرفيق المتقدم المنفرد وحاولوا اضعافه وقتله ..

وتمكن شمعون بتدخل السافر سنة ١٩٥٢ من ان تركز في المجلس النيابي بعض الدعائم الأجنبية المعروفة في

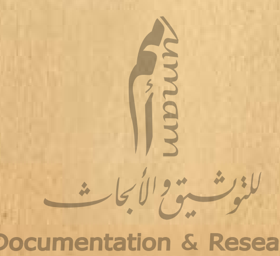
شخص بعض الأعوان المتسببين إلى دوائر الأستخبارات، او الذين لهم علاقة اجنبية معروفة او بعض ضعاف الشخصيات الذين كانوا يماشون سياسة شمعون اية كانت اتجاهات هـذه السياسة .. وكان شمعون قد تمكن « من قبل » من تركيز بعض الموظفين، ممن لهم علاقة اجنبية معروفـة ، في بعض المراكز الحساسة في الأدارة كقيادة الشرطه وقيادة الدرك ، ومديرية الأمن العام والأدعاء العـام التمييزي وسواها من الوظائف الهامة ..

وبلغ صراعنا مـع رئيس الدولة في تلك الحقبة شدته القصوى من حيث النضال السياسي السلمي وكنا وحدنا في الميدان مع لفيف من الاخوان الذين ائتلفوا معنا في كتلة سياسية للاحزاب والشخصيات تضم رفيقنا النائب الأستاذ عبدالله الحاج ــ وهو الوحيد الذي ظل الى جانبنا آنذاك من الجبهة الأشتراكية الوطنية المحتضرة — وتضم أيضاً الهيئة الوطنية الأسلامية في بيروت ومنظمة النجادة و بعض اليساريين .. وكان رئيس الحكومة آنذاك صديقنا الأستاذ عبدالله اليافي فلجأنا الى اعلان الأضراب والى اقامة الأجتماعات والتظاهرات احتجاجاً على الوضع المنحرف بالبلاد وبالحـكم إلى الفساد

والإفساد وإلى تبني التوجيهات الأجنبية الخارجيـة .. فكان اجتماع بيت الفجاد حيث القيت علينـــا المتفجرات وسط الأحتفال بتحريض مباشر من شمعون ومن السلطة القائمة .. ثم كان اعلان الإضراب لتأييد نضال اخوانـــا العرب في المغرب والجزائر وتونس، فلبى خمسون بالماية من أبناء بيروت نـداء الأضراب السلمي واضربت مدينتـا طرابلس وصيدا بالرغم من مناهضة السلطة ونزول اعوانها الى الشوارع لمنع اقفال المتاجر .. وكانت كتلة الأحـزاب والشخصيات قد هيأت تظاهرات في اليوم ذاته ، وقد جرت في معظم المدن الرئيسية . ووقع حادث «عين المعاصر» بالقرب من بيت الدين، حيث اطلقت قوى الدرك رصاصها على سيارتنا وعلى سيارات المتظاهرين ، وحصيلته اربعة جرحى ، وكان انصارنا آنذاك عزلاً من السلاح وكان يعلم شمعون ذلك لرفقته السابقة لنـا في الجبهة الاشتراكية الوطنية . ومنذ تلك الساعة ادركنا جلياً ان الرجل لا يحترم حق التظاهر السلمي ولا يتورع عن اللجوء إلى مختلف الوسائل العنفية لاجل الوصول إلى اغراضه واهدافه، وانه علينا ان نبدل نهجنا بالنسبة اليه وان نسعى إلى اقتنـاء السلاح ما امكن .. فالرجل لا يقدر مبادىء واسس النضال

السياسي السلمي الشريف ولا يقيم وزناً لتأييد المبادىء الوطنية والقيم .. فاللاعنف لايفيد في مثل هذا المقام .. وادركنا في حدسنا ان شمعون — بعد ان فقد ارتكازاته الشعبية — سيميل اكثر واكثر إلى استخدام قوى الامن على غرار نوري السعيد كجهاز نظامي للعصابات المسلحة في وجه تيار النقمة الشعبية الصاعد ..

وكانت انتخابات عام ١٩٥٢ نقطة انطلاق لشمعون لتركيز نفسه لاجل التجديد بعد ان نجح في تجزئة جبهة النضال الداخلية ، وستكون انتخابات ١٩٥٧ المرحلة الثانية لشمعون ولاعوانه لتقوية أوضاعهم داخل المجلس النيابي وفي المناطق تمهيداً لتعديل الدستور المنتظر ، كما سنرى ذلك في بحثنا عن انحراف السياسة الخارجية اللبنانية التي بلورت النقمة الشعبية ووجهتها وشحذت الهمم وجمعت العناصر المتخلفة عن النضال الوطني الذي كان الحزب التقدمي الاشتراكي وبعض الهيآت الوطنية قد بدأوا به بعد مرور بضعة أشهر لا أكثر على انقلاب ١٩٥٢ ..





٣

الانحراف في السياسة اللبنانية الخارجية





عندما ركزت بعض اوضاع شمعون وهيمن اعوانه على المراكز الحساسة في الأدارة، وتمكن بواسطة تشويه القانون الانتخابي واصداره بمرسوم تشريعي، دون العودة الى المجلس النيابي لأجل تصديقه، كما يقضي بذلك التقليد الدستوري، اخذت سياسة شمعون الخارجية تنحرف إلى تأييد مشاريع النفوذ والأحلاف الأجنبية .. وكانت الدعاية في الأوساط الغربية قد بدأت تسعى لتحقيق حلف عسكري دفاعي عن الشرق الأوسط .. ونذكر جميعاً المراحل التي مرّ بها تطور فكرة الحلف وتبلورها، ورفض الدول الغربية الكبرى الاقتراح الرامي الى حصر هذا الحلف فيما بين العرب أنفسهم، على ان يغذّى ويدعم بالعتاد والسلاح وبمختلف المساعدات المالية والأقتصادية، وكيف ان الدول الغربية الكبرى، في مسايرتها لاسرائيل، كانت لا تستسيغ طبعاً هذا الاقتراح المحض عربي وتؤثر اشراك تركيا وايران وسواهما، في نية

مناهضة الاتحاد السوفياتي وا كمال هذه السلسلة من الاحلاف الدفاعية الهجومية في آن واحد والتي كان القصد اقامتهـــا كالسور المحيط حول اراضي الأتحاد السوفياتي ؛ ولم تـــكن تهدف اطلاقاً الى تعزيز قوة الدول العربيـــة وتمكينها مـــن الصمود في وجه اسرائيل وفي وجـــــه مؤامرات سيطرة الاستعمار ..

وكان الحزب التقدمي الاشتراكي قد أعلن منذ صيف ١٩٤٩ نظريته الشهيرة المعروفة بعدم الانحياز الى أي معسكر من المعسكرين و بنبذ فكرة المعسكرات والاحلاف والسعي لقيام جبهة من الدول والاحزاب والشعوب تدعم فكرة انشاء القوة الثالثة والتجمع الافريقي الأسيوي وفكرة الدعوة الى مؤتمر يجمع هذه الدول وممثلي هذه الشعوب ، وكذلك الدعوة الى مؤتمر للاحزاب الاشتراكية الآسيوية .. وكنا شخصياً منذ سنة ١٩٤٥ و بعدها روّجنا في محاضراتنا وكتاباتنـــا لفكرة القوة الثالثة هذه كما كانت تبدو لنا انها ستبرز من خلال الصراع العالمي القائم وعلى انقاض هذا الصراع ذاتـــه[١] وقد تلاقت دعوتنا هذه فيما بعد مع نداآت الحزب الوطني

---

(١) Les cahiers de l'Est 1945 — 1946

الديموقراطي في العراق ، على غير التوضيح الذي كنا على الدوام نبرزه ونعلنه .

واتخذ صراعنا ضد الأحلاف الأجنبية في عهد شمعون نهجاً تزايد فيه العنف والتحدي بشكل مستمر كلما انحرف الرجل في تيار الانجذاب الأجنبي ..

وبعد مؤتمرات صحفية وحملة واسعة من البيانات والتصريحات، اخذت مقاومة الأحلاف الأجنبية تنتشر في لبنان وتسيطر على الرأي العام في شقيه المحمدي والمسيحي، بينما كانت لأشهر خلت ، تلاقي فكرة الأحلاف تشويقاً لدى بعض الهيئات والأحزاب والشخصيات الوطنية في بيروت، لما كان تنخدع به هذه الأحزاب والهيئات والشخصيات من ترويج دعاية التسليح وتعزيز قوة العرب العسكرية في وجه اسرائيل .. وكانت الدعاية الأجنبية هي التي توزع في الصحف هذه الأضاليل ..

ووقف الحزب التقدمي الأشتراكي ووقف نفر قليل في البداية معنا ، ثم اخذ النضال ضد الاحلاف يتسع ويتقوى، إلى أن قامت اضرابات الجامعة الأميركية عام ١٩٥٤ و بعض المدارس الوطنية الاخرى ، احتجاجاً على الأحلاف الأجنبية وتأييداً

لمبدأ التحرر .. فواجه شمعون طلاب الجامعة الأميركيـة بالكبت والحديد والنار .. فسقط في محاولة القمع الهوجاء عدد كبير من الجرحى وقتل الشهيد رفيقنا الأشتراكي حسان ابو اسمعيل وكان يتقدم المتظاهرين رافعاً بيده العلم العربي .. واثارت فظاظة قمع المظاهرة الطلابية السلمية بالرصاص سخط الرأي العام .. وجرت لحسان مظاهرة تشييع ضخمة اشترك فيها عشرات الألوف من ابناء لبنان و بيروت ، بالرغم من محاولة السلطة منع تشييع الجثمان . وكان اهراق هذا الدم الذكي البريء نقطة تحول ، ما لبثت ان تبعتها دعوة الحزب التقدمي الأشتراكي لعقد المؤتمر الوطني المشهور في دار الحزب وانتخاب لجنة لمواصلة النضال ضد الأحلاف يرأسها الحاج حسين العويني وتضم الهيئة الوطنية والنجادة والجبهـة الشعبية وممثلـين للمؤتمر الوطني الملتئم سنة ١٩٤٣ للمطالبة بالجلاء والاستقلال ، كما كان يضم مؤتمرنا الوطني الجديد نفراً كبيراً من الشخصيات بلغت العشرات .. ولقينا بعض الصعوبات في جعل بعض هذه الأحزاب توافق على فكرة المؤتمر بكاملها .. ولكن و بعد ساعتين من المجادلة والنقاش الشديد و بعد جهود صديقنا

المأسوف عليه الشهيد نسيب المتني وصراخه الذي لا نزال نسمعه يرتفع في آذاننا ،تمكنا من اقناع الجميع بضرورة امضاء البيان الذي كنا اعددناه للمناسبة مع فريق من الاخوان المخلصين .. وكانت في الخارج وفي الصالة الكبرى هتافات المؤتمرين تتصاعد في حماسها ضد مناهضة الأحلاف .. وكان هذا التردد « الصغير » ناجماً في الواقع عن قصة « خدعة هبات السلاح » اولاً ، وثم عن ان مصر لم تكن بعد قد علنت موقفها الحاسم الصريح في الأمر ..

وكان قد تم ايضاً التلاقي في شتورا بين ممثلي حزب البعث العربي الأشتراكي وكان اخواننا الأساتذة ميشال عفلق واكرم الحوراني وصلاح البيطار وكنا من الحاضرين.. واصدر بيان اتفق على مضمونه في هذا المعنى .

ولكن شمعون لم يرتدع ... وكانت زيارته مع سامي الصلح إلى انقره وتوقيعهما لبيان انقرة المشؤوم . وقد تمت الزيارة وتم التوقيع في الفترة العصيبة التي كانت فيها تركيا تهدد بجيوشها وقواعدها حدود سوريا الشمالية ، وترسل اليها الأنذار تلو الأنذار بينما يتزايد الضغط على سوريا من الجنوب ومن اسرائيل ومن الشرق العراقي .. وعبثاً حاولنا وحاولت

الشخصيات والاحزاب الوطنية في لبنان الحؤول دون زيارة رئيس الجمهورية لأنقرة في تلك الفترة العصيبة التي كانت تجتازها سوريا والعالم العربي من ورائها .. ولكن يبدو ان التعليمات الأجنبية قد صدرت لشمعون ليفعل ما هو فاعل ..

ثم تمت زيارة جلال بايار للبنان الرسمي وسط الوجوم والنقمة لا بالنسبة للشخص وما يمثله من شعب كريم ومن علاقات ود بالبلد اللبناني ، بل بسبب المشاريع الأجنبية والأحلاف التي كان يحملها الرئيس التركي في حقيبته .. والقيت بعض المتفجرات آنذاك في بيروت ليلة قدوم الوفد، كما والقيت متفجرة ضخمة بالقرب من قصر بيت الدين حيث كان دعى شمعون ضيفه الكبير ليستريح ولينام ..

ولا مجال للتكرار بأن شمعون كان قد تعهد لنا وللجبهة الاشتراكية الوطنية واقسم خطياً بشرفه وبمعتقده ، قبيل ترشيحه لرئاسة الجمهورية من طرف الجبهة : بالمحافظة على « استقلال لبنان وضمان كيانه وعدم التحيز لدولة اجنبية والمحافظة على العلاقات الودية مع جميع الدول الكبرى » ..

وتم توقيع هذه الوثيقة والبنود التابعة لها في ٢١

ايلول ١٩٥٢ .. (١)

---

(١) نص الوثيقة :

الضمانات المعنوية التي ارتبط بها مرشح الجبهة الاشتراكية الوطنية امام رفاقه في جلسة الجبهة المنعقدة بتاريخ ٢١ ايلول ١٩٥٢ عند الساعة السابعة زوالية في عاليه بمنزل الزميل ديكران توسباط .

اقسم بشرفي وبمعتقدي على القيام ما يلي .

اولا : استقلال لبنان وضمان كيانه وعدم التحيز لدولة اجنبية والمحافظة على العلاقات الودية مع جميع الدول الكبرى .

ثانياً : التحرر من العائلية ومن تأثير مكتب الرئاسة ومن المحسوبيين .

ثالثاً : التحرر من كل وضع استغلالي للنفوذ والمال .

رابعاً : قفل مكتب المحاماة المرشح لرئاسة الجمهورية بعد انتخابه .

خامساً : تنفيذ برنامج الجبهة الاشتراكية وخاصة البرنامج الذي جر الاضراب على اساسه .

سادساً : تعديل قانون الانتخابات على اساس الدائرة وحل مجلس النيابي .

سابعاً : الغاء النفقات السرية بجميع دوائر الدولة فيما عدا الداخلية والمالية والخارجية .

ثامناً : التوظيف والترقية لا يحصلان الا على اساس الكفاءة والامتحان .

تاسعاً : لا يتصل رئيس الجمهورية ولا يستقبل احداً من الموظفين بدون واسطة الوزراء بلي الاحكام ولا يحكم .

عاشراً : لا يوافق رئيس الجمهورية بتاتاً على تعيين احد الاشخاص الملوثين لمنصب وزاري او غير وزاري او عدم التقيد بقواعد الطائفية .

حادي عشر : تنفيذ المبدأ التالي : عدم القيام بعمل ينافي التصريحات والانتقادات السابقة الصادرة عن الجبهة الاشتراكية .

وجواباً على السؤال الموجه من قبل مرشح الجبهة الاشتراكية الوطنية بموافقة مرشحها عن الخطة السياسية المقبلة التي ستنهجها والتي

ولكن ما قيمة الوثائق والعهود والوعود لمن تعوزه روح صيانتها وتحقيقها ، اي هذا الصدق البديهي والشرف الطبيعي في الأنسان .. وادركنا خطأنا التاريخي في تقدير الاشخاص ، وان اتباع المدرسة السياسية القديمة لا يمكن الركون اليهم لما تعودوه من انتهازية ومن مركب للضعف يجعلهم على الدوام ينشدون « عكاز » الاجنبي ومساندته وتوجيهه .. « فالباب العالي » لا يزال بالنسبة لهؤلاء ، هو هو ، انما انتقل مركزه وعنوانه من شواطىء البوسفور إلى ضفاف نهري التامز والهدسون ..

و بفضل وعي الشعب اللبناني وتحفزه للنضال ، لم يتمكن شمعون ، بالرغم من محاولاته اليائسة وجهوده المتصلة المثابرة ، من ادخال لبنان رسمياً ضمن حلف بغداد .

ولما اعلن الرئيس عبد الناصر موقفه من حلف بغداد وكشف الستار عن المساومات التي رافقت المفاوضة لأجل عقده ، وكيف ان الغربيين رفضوا حصره ضمن نطاق العالم

يمكن ايجازها بما يأتي : ان الارتباط مع رئيس الدولة يكون على غير ما يرتبط رئيس الدولة ببرنامج وتوجيهات الجبهة وتوصياتها .

كمال جنبلاط غسان تويني كميل شمعون
انور الخطيب عبدالله الحاج اميل البستاني

العربي ، وفضح خدعة «هدية الأسلحة والمساعدات» ، تعزز موقف المعارضة الشعبية في لبنان وفي العالم العربي بأسره .. ثم كانت قنبلة الرئيس عبد الناصر الشهيرة يوم نشر على العالم المذهول خبر خرقه لحصار منع التسلح ، دفاعاً عن النفس ، الذي كانت اقامته الدول الغربية الكبرى حول العالم العربي وأشار الى صفقات العتاد والأسلحة الحربية والطائرات التي ابتاعها من بعض دول المعسكر الشيوعي ..

فالتهبت الجماهير العربية حماساً كمن يسكب فوق النار الزيت والكبريت ، وقامت المظاهرات في جميع العواصم العربية ، واضطر اخصام سياسة عبد الناصر انفسهم ونوري السعيد وشمعون ان يهنئوا زعيم مصر على نجاحه الكبير ، وبرز قائد نهضة مصر منذ تلك الساعة بطلاً للتحرر الوطني في العالم العربي بأسره.. ومنذ وقوع ذلك الحدث التاريخي ايضاً بدأت المؤامرات تشتد وتتقوى وتحاك بشكل جدي وحاسم للقضاء على الرئيس المصري وعلى حركة التحرر الوطني العربي التي اخذت تتبلور في نضال الرجل وتتحدد في مفاهيم واضحة سهلة المنال كعدم الانحياز ومبدأ الحياد السياسي ، والحياد الايجابي ، والتعاون على اساس النفع المشترك ، و « نصادق

من يصادقنا ونعادي من يعادينا » وقبول المساعدات غير المشروطة من اي جهة اتت ، ومناهضة فكرة المعسكرات وتأييد التعايش السلمي ومبدأ عدم التدخل في شؤون الآخرين الداخلية .

فانجرف اذ ذاك آخر المترددين في التيار الشعبي العام المناهض للاحلاف الاجنبية والمؤيد لفكرة « مناطق السلام وعدم الارتباط » ، واعلن فوراً ارباب حزب النداء القومي في لبنان وبعض القوميين العرب وسواهم من المؤسسات والشخصيات تأييدهم للخطوة الجريئة الواعية التي اقدم عليها الرئيس عبد الناصر ، ولم يعد في لبنان ممن يؤيدون الاحلاف سوى فئات قليلة من اصدقاء الاجانب المباشرين وعناصر الحزب القومي السوري والكتائب اللبنانية وبعض التجمعات الانعزالية التي اخذ قلقها يتزايد لنمو قوة عبد الناصر السياسية . . . وكانت هذه العناصر وهذه التجمعات ولا تزال لا تؤمن بقيام دولة مستقلة لبنانية اذا لم تتكيء هذه الدولة وتستند الى دولة اجنبية كبرى اي الى حماية خارجية ، او انتداب : وهؤلاء ، جماعة فكرة الحماية ، ما زالوا يعملون بنشاط وبمثابرة متصلة غريبة جداً ـ كالصهاينة تماماً ـ منذ الربع الاول للقرن

الثامن عشر ، بالرغم من الضربات القاصمة التي تلقوها والانكسارات المعنوية التي لحقت بهم .. واضحى شمعون وحده مع هذه الفئات القليلة في البلاد يرغب بالارتباط الخارجي وبتجديد القيد الاجنبي .. وكان ان اعلن البطريرك الماروني ومعظم الشخصيات المسيحية البارزة رأيهم ضد الارتباط والاحلاف .. فما عاد تجرأ شمعون على ربط لبنان علناً ونصاً وصراحة بحلف بغداد .. ولم تقبل بذلك حكوماته بفعل ضغط الرأي العام ، والمجلس النيابي ذاته .. وكان شمعون بدأ يتحول إلى الدس المباشر على الاوضاع الداخلية في سوريا وحاول ترشيح احدى الشخصيات الموالية لحلف بغداد لرئاسة الجمهورية السورية ، وكان يرسل في طلب النواب السوريين إلى بيروت ويبعث برسله إلى دمشق وبغداد لطبخ القضية والسعي لانجاح المرشح المذكور .. وكان الفضل للزعيم شوكت شقير رئيس اركان الجيش السوري آنذاك في احباط محاولات شمعون وتدخلاته لصالح لطفي الحفار مرشح العراقيين .. وفي انجاح الرئيس شكري القوتلي .. ومن اغرب الامور ومما يدل على ازدواجية سياسة شمعون البريطانية في اصالتها والتي كانت تتلبس احياناً الثوب الاميركي ان الاميركيين

كانوا يدعمون بالمناسبة ترشيح القوتلي لرغبتهـم في التخلص من مرشح البعثيين واليساريين خالد العظم . ولما فشل شمعون بمحاولته هذه ، اخذ يتحول الى اعداد المؤامرات على سوريا ويشترك في تنفيذها ، خاصة وان نفوذ حزب البعث العربي الاشتراكي اخذ يقوى وينتشر في سوريا بالرغم مـن نجاح القوتلي المناهض لمرشح البعثيين واليساريين ، وبالرغم من تكتـل الاحزاب التقليدية ضدهم .. وكان تأليف التجمع القومي واشتراك خالد العظم في الحكم مع فريق من الاعضاء البعثيين نقطة تركيز وتدعيم للوضع التحرري وللنهج التحرري في سوريا ، بعد ما اثاره اغتيال المرحوم الشهيد عدنان المالكي على يد القوميين السوريين من نقمة وسخط عـام .. وباشر شمعون بتسليـح القوميين السوريين وجماعته واعوانه القريبـين وعلى رأسهم جماعة الجاسوس مغبغب في الشوف ، او بالحري اخذ يسرع في تسليحهم واعدادهم ـــ وقد اعترف القوميون انفسهم عندما تنازعوا على غنيمة السلاح والمال بأنهم تلقوا من حلف بغداد اربعة آلاف وخمسماية قطعة سلاح باعوا اكثرها طبعاً ، لان من يعمل لحساب الغير لا يهمه في النهاية الا الربح المـادي

والربح المادي فقط[1] ..

وكانت السياسة الاميركية بدأت تتجه — على غرار نهجها في اميركا اللاتينية — إلى استخدام رشوة الدولار والى تدبير الانقلابات ، بحجة انقاذ سوريا من الشيوعية وغيرها من الادعاآت لتبرير خطة التدخل .. وظل شمعون يعمل لصالح ارتباطه البريطاني الاصيل ، ولكنه انخرط في الظاهر في شبكة السياسة الاميركية هذه المعدة للشرق .. وعبثاً حاول بعض كبار الممثلين الاميركيين الوقوف في وجه هذه السياسة القصيرة النظر منددين بفشلها المسبق .. على انها كانت فرصة لشمعون واصدقائه لقبض المال واشباع رغبتهم في الدس والتجسس والتآمر وما اقوى نزعة الايذاء في نفوس الاجراء .. وكانت السلطة الرسمية في الداخل تمعن في الفساد والطغيان ، وفي اشاعة روح التفرقة الطائفية ، وبث سموم هذه الدعايات التعصبية المجرمة في نفوس المسيحيين على ان يعود شمعون

---

(١) راجع الاتهامات التي الصقها القوميون بعضهم ببعض وفريق بفريق (جماعة اسد الاشقر وجماعة جورج عبد المسيح) ، والتي نشرتها صحف لبنان . وبالطريقة ذاتها وبسواها من الوسائل تمكن شمعون من جمع ثروة ضخمة من حرام تمرسه بمهنة التآمر واعداد الانقلابات هذه (راجع فضائح علاقات بغداد) ..

من آن الى آخر الى عرض وساطته بين الحكومات والدول العربية للتضليل لا اكثر ولوقف التهجم الداخلي عليه، مدعياً انه يسعى إلى تقريب وجهات النظر واصلاح ذات البين وازالة الفرقة والأنشقاق بين الدول العربية، وهو الذي كان يشترك في تدبير هذه الخلافات، وفي تغذيتها واثارتها وتقويتها.. ويبلغ الدجل السياسي في عهد شمعون مبلغاً قل ما يتصوره ذهن بشري .. اما المؤآمرات على سوريا فكانت تهدف إلى دمجها في حلف بغداد وفي سياسته . لكي يسهل على لبنان وعلى الاردن وربما على السعودية واليمن، امر تقرير الاشتراك بالحلف المذكور، ويكون بذلك تم عزل مصر المنادية بعدم الانحياز وبعدم الارتباط بالاحلاف عزلاً تاماً عن هذا القسم الشرقي من العالم العربي، على ان يهيأ فيما بعد طرف آخر للكلابة الضاغطة من ثغرة في المغرب العربي، لتطويق عبد الناصر ومنع انتشار دعوته وافكاره ..

وكان شمعون في تنفيذ سياسته الماكرة الداخلية الرامية إلى ابقاء عناصر السنة المسلمين منقسمين على انفسهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، يبدل حكوماتهم على التوالي في محاولة ارضائهم لا اكثر ومنعهم من التكتل بعضهم مع بعض . فتارة يلعب

بورقة سامي الصلح ثم يقذفه ويأتي برشيد كرامه ثم يتحول إلى عبد الله اليافي وصائب سلام ، وهكذا على التوالي في حركة تشبه تماماً لعبة الروليت .

وجاء شمعون بحكومة يرأسها عبد الله اليافي - وكان احد اعضائها صائب سلام - قبيل الانتخابات النيابية الاخيرة ، ولم يفطن ان الجمع بين هذين العنصرين الاسلاميين في وزارة واحدة سيكون له اوخم العواقب بالنسبة اليه .. اذ تكتل الرجلان فوراً داخل الحكم ضد السياسة الرسمية الخارجية ، وكان الرأي العام أخذ يعقل غاية سياسة شمعون ونهجه الرامي الى ربط لبنان بسياسة حلف بغداد ودمجه واقعياً وعملياً في هذا الحلف وفي هذه السياسة ، بعد ان فشل بجعل حكوماته ترتبط رسمياً بهذا الحلف.. وكانت مشكلة عائدات شركات البترول مطروحة على بساط البحث ، وتألفت لجنة شعبية للمطالبة بحصة لبنان العادلة من هذه العائدات .. فاخذ التنافس على الوطنية يفعل فعله ، وكانت طرابلس اول من اشترك في اللجنة الشعبية وخاصة انه لم يبق في الميدان الا « حديدان » اي سامي الصلح .. فوقف عبد الله اليافي وصائب سلام في وجه المحاولات التي كانت تبذل الاجل « ترتيب » القضية على

اهون السبل وعلى غير مصلحة لبنان بكامل حصته بالعائدات النفطية.. وساندهما الشعب في موقفهما هذا ربما إلى درجة المغالاة بالمطلب ، واضطر شمعون ذاته ان يرفض المساومة مع شركات النفط على غير الاسس التي كانت وضعتها الحكومة واللجنة الشعبية فاضحى شمعون ، منذ تلك الساعة سجيناً لما كان يقصده من تفرقة بين عناصر السنة المسلمين في البلاد ..

ثم كان اعلان الرئيس عبد الناصر لتأميم قنال السويس. فما كان من شمعون الذي كنا ولا نزال على اشد الخصومة معه ، نظراً لسياسته الملتوية ولما نعلمه عن واقع خططه المبيتة ، الّا ان ايد علناً تأميم القنال..

وعاد امل بعض الناس بأن يصلح شمعون سياسته وانه ربما تحت ضغط الرأي العام قد يعود الى رشده.. على ان مؤتمر الملوك والرؤساء العرب كشف للملأ الستار عن الخدعة التي اوقع فيها رئيس دولة لبنان ملوك ورؤساء العرب هؤلاء . وقصة الاجتماع معروفة وما من حاجة لروايتها من جديد .. يكفي ان نقول ان المقصود من هذا المؤتمر « الخنفشاري » انما كان الجمع بين الملوك والرؤساء ، دون اي تمهيد سابق بينهم ودون وضع اي هدف او مخطط لابحاث المؤتمر ، لكي

يخرج المؤتمرون من الاجتماع منقسمين على انفسهم فيفتضح واقع الدول العربية في التشتت والاختـــلاف والانقسام. ويكون شمعون قد كسب من وراء هذا الاجتماع يقـــام في بيروت وبرآسته — بوصفه رئيساً للدولة الداعيــة — بهرجة وتقوية معنوية ، كانت مفقودة ،للتعويض عن انهيار حكمه في الداخل .. وقد قال الانعزاليون عن المؤتمر آنذاك انه ضربة معلم..ولكنها في الواقع ضربة « عميل صغير » كشف عن وجهه القناع في احرج ظرف واخطر مرحلة تعرض اليها استقلال العرب ، وعزتهم ، والحقت هذه « الصفقـــة السياسية الخاسرة » ابلغ الضرر بلبنان و بسمعته في الخارج... وتقدم الرئيس اليافي وصائب سلام باستقالتهما مــن الوزارة احتجاجاً على ما جرى من تلاعب بأقل موجبات الصدق والتضامن ولياقة الضيافة.. ورفض شمعون اقتراحنا آنذاك ، تفادياً للازمة ، بأن يسحب فوراً سفراء لبنـان من باريس ومن لندن.. وعبثاً حاول العقلاء ان يقنعوه بنظرتنا هذه.. وحاولنا الضغط عليه بواسطة مؤتمر استشاري للوجهاء وارباب السياسة اضطر الى دعوته بضغط من حكومته ومن الرأي العام في دار الحكومة..ولكن كان قد سبق لشمعون واوعز لرسله

واعوانه في المؤتمر بأن يعكروا جو المؤتمر ما امكن، وان يحولوا دون اتخاذ اي قرار بشأن تأييد الموقف الصواب الذي يتوجب اتخاذه بالنسبة لمصر ونضالها ضد الاجتياح الأجنبي والعدوان الفاضح ..

وجاء شمعون بسامي والف الوزارة « الصلحية – المالكية » وادخل فيها ممثلاً عن الكتلة الوطنية وممثلا آخر عـــــن الكتائب ، اي حاول تقويتها ما امكن من الوجهة المسيحية. ! وكانت اخذت ابواقه تنفث الاكاذيب والسموم في البلد حول حقيقة ما جرى في مؤتمر الملوك والرؤساء ، مدعياً ان الخلاف وقع بمناسبة قطع العلاقات الاقتصادية الذي طالبت بها مصر وطالب بها اليافي وسلام ولم يقبل بها شمعون .. وكانت حالة الطوارىء ومراقبة الصحف قد اعلنت منذ عهد الوزارة السابقة فكانت المراقبة تحول دون نشر الاخبار الصحيحة عن الأزمة الطارئة ، وتنشر كل ما من شأنه الزيادة بتضليل فئة معينة من الرأي العام اللبناني .. فانقسم الاهلون بعضهم على بعض ما بين مؤيد ومعاكس ..وفي لبنان كما هو معروف « فئة » لا ترغب بقطع « صلات الرحم » مع فرنسا التي اتصفت سياستها في ادعائهم الخاطىء بحماية المسيحيين بالرغم من ان فرنسا هي

التي اشتركت ايام نابليون الثالث بتدبير الفتنة الاهلية حوالي منتصف القرن السابق ، لتحقيق حلم الامبراطور الطموح ولتمكين الجيش الافرنسي من احتلال لبنان ، على غرار محاولة جده نابليون الاول في عكا – ، هذه الحقيقة التاريخية التي مر عليها مرور الكرام مؤلفو تاريخ الحركات في لبنان المزور ومعظمهم من الغلاة الانعزاليين وقد اهملوا قسماً وافراً من الوثائق التاريخية الاجنبية واللبنانية ، لاجل المحافظة على سمعة وكرامة مبدأ « الحماية » ..

وبلغت شدة التضليل واستثارة المفارقة بين المواطنين اللبنانيين إثر ذلك الاجتماع العربي للرؤساء والملوك مبلغاً اكفهر له الجو السياسي والاجتماعي اللبناني ، وخاصة في مدينة بيروت حيث اضحى الاهلون في الشارع على وشك الاختلاف وعلى عتبة المشاجرة ،والايقاع بعضهم ببعض .. وكاد الجدل بين اصحاب الحوانيت – التجارية والسياسية ايضاً – وبين المسلمين والمسيحيين يتطور إلى اكثر من مجادلة ونفور وقطيعة.. وشعر الجميع بخطورة الموقف .. وقد توصل كميل شمعون إلى شيء كثير مما يبغيه بتحويل القضية إلى نزاع طائفي .. وكاد شرك « اللعين » يعطي ثماره في اشعال نار الفتنة .. وبعد

مداولة مع بعض اخواننا ومع اللواء شهاب قائد الجيش اللبناني آنذاك، وبعد عرض الفكرة على مؤتمر الاحزاب والشخصيات اللبنانية ، اتخذ مجلس ادارة الحزب التقدمي الاشتراكي قراراً بضرورة دعوة بعض الوجهاء من المسلمين والمسيحيين إلى اجتماع يعقد في بكركي على مائدة البطريرك الماروني للتظاهر على الاقل امام الجمهور البسيط الساذج بان الخلافات السياسية لم تتحول إلى منازعات شخصية او طائفية ، وان جميع المواطنين متفقون على التعايش وعلى الحفاظ على الاستقلال والوحدة الوطنية . وتردد معظم اخواننا المسلمين آنذاك في قبول الدعوة وكانوا لم يتعرفوا بعد إلى هذا الوجه من وجوه البطريرك المعوشي المشرق الصامد ، المفعم بالوطنية وبالتسامح وبالمحبة وبالاخلاص للبنان وابنيه ولوحدتهم واستقلالهم .. وتردد ايضاً البطريرك ذاته في قبول الدعوة إلى بكركي نظراً لما يعلمه من مناورات شمعون ، فاصررنا على الأمر .. وتوجهنا برفقة الحاج حسين العويني مرة اخرى ، إلى مقر البطريرك ، وكان لنا ما اردناه جميعاً من اجتماع « للوجهاء » ومن محادثات كانت تبرز فيها روح تقدير خطورة حالة البلاد .. وتلا هذا الاجتماع اجتماع آخر دعى اليه مفتي الاسلام في بيروت

وحضره جمهور من الشخصيات الوطنية المسلمة والمسيحية وتبودلت فيه الخطب من اجل وحدة ابناء لبنان وصيانة استقلاله وعروبته .. وبالرغم من ان في مثل هذه الاجتماعات لا بد ان يكون فيها التلاقي والتفاهم سطحياً، فان الانفراج في جو الاسواق اخذ يتحقق . على ان المشكلة الاساسية ، هذه الفرقة الذي اوجدها شمعون في النفوس ، ظلت إلى حد كبير على ما هي عليه من خشية متبادلة وقلق وحذر ..

وكانت ابان ذلك قد تشكلت وزارة سامي الصلح - مالك التي اشرنا اليها ، وجاء شمعون بمالك وببعض العناصر المسيحية المتطرفة ، ليلعب رصيده الاخير في حقل السياسة الخارجية ، ولانه بدأ يشعر بقرب انفجار الازمة الداخلية تحت اقدامه.. ومعظم السياسيين في لبنان يقبلون المراكز الحكومية بأي ثمن كان دون التبصر بعواقب الامور او التطلع إلى مبدأ ما يسعون إلى تحقيقه ، بل فقط «للاستمرار» وما يجلبه لهم هذا الاعتلاء فوق الكرسي من منفعة شخصية لهم ولاعوانهم ومن نفوذ وهيبة.. ففكرة الوجاهة لا تزال المحرك الاساسي للسياسة اللبنانية!..

اما الولايات المتحدة فانها بدأت في تلك الحقبة تشعر

بضرورة إحلال سياستها مكان سياسة بريطانيا وفرنسا الفاشلة اثر حوادث معركة القنال وأن عليها ان تملأ «الفراغ» الحاصل من جراء تقلص نفوذ السياسة البريطانية والفرنسية في الشرق العربي ؛ وان تفيد اميركا من الشعبية الجديدة التي اكسبها اياها موقفها آنذاك.. وكان لا بد طبعاً للاميركيين ان يفكروا بادىء ذي بدء ، وقبل كل شيء بالمال وببذر المال في هذه النظرة الضيقة التي تعتبر ان الناس - كلهم - «فقراء» متسولين لا يفقهون سوى لغة الاخذ والعطاء.. المال يشكل بدون شك قوة السياسة الاميركية ولكنه يشكل مصدر ضعف هذه السياسة واخطائها وهزلها الساذج في آن واحد.. فالمال هو عنصر من عناصر القوة والنفوذ السياسيين ولكنه ليس كل السياسة..

وولد مشروع ايزنهاور ، وليته لم يولد ، وسط ذاك الاعلان الشهير للرئيس الاميركي امام مجلسي الشيوخ والكونغرس مجتمعين وفي أبهة من الدعاية «الساذجة» ايضاً والغريبة التي لا علاقة لها ولا حاجة لها ، ولا تتناسب مع تواضع الهدية المقدمة للشرق العربي بمجموعه : اي مايتي مليون من الدولارات للانعاش الاقتصادي والتقني ، اي ربما

عشر ما يتقاضاه العرب من عائدات النفط ، واقل مـــن ميزانية امارة الكويت الصغيرة ...

فكان هذا التشخيص للنعمة والمنحة العظيمة مدعاة للتساؤل والانتقاد ... وهل يستطيع المال وحده ان يقدم حلولاً سليمة لجميع مشاكل الشرق العربي ..؟ هذه السياسة المركنتيلية (التجاريـة) التي يقصد منها رمي رماد الذهب الباهر في العيون والعقول ، ليست بسياسة ولا تجيب على تطلبات جماهير الجيل الحاضر الوطنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وليست في اي حال رداً مصيباً على مطلب العزة والكرامة ، والاحترام المتبادل والنفع المتبادل في العلاقات بين الشعوب والدول .. ووجود شارل مالك في وزارة الخارجية اللبنانية -- اي في مقـابلة المستر دالس على وهمه وادعائه -- اضفى على الايام التي عشناها آنذاك وعلى جلسات المجلس النيابي لوناً من الدراما المضحكة المبكية في آن واحد ، كأن « دون كيخوتاً » جديداً تقمص السلطة في لبنان .. اولم يذهب مالك في احدى جلسات المجلس النيابي ، وفي هيبة وروعة وصمت « العقل المسؤول » المتكلم ، إلى اعلان تزويد الجيش اللبناني بالصواريخ الموجهة ، الامر الذي كذبه دالس بعد يوم او يومـين ، وذلك

لتشويق اللبنانيين ودفعهم إلى قبول المشروع الاميركي .. وفي يقيننا ان شارل مالك اسهم في جرّ الولايات المتحـــدة إلى الاسفاف في سياستها فيما يختص بالشرق العربي ،وفي الاكتفاء بمنح هدية « المال » دون التطلع إلى المطاليب الحقيقية الاساسية للشعوب العربية .. وقـد خدعنا مالك وخدع الكثيرين بتظاهره « بالمحبة » و « بالعقل العاقل المنفتح » و « بالتواضع المنسحق على ذاته » والمتحول « عطاء ومعرفة مسؤولة ، وتسامحاً اصيلاً ومسيحية تلقائية صميمة » وسواها من التعابير الفريسية التي كان يستعملها الرجل في كلامه مع المسيحيين والمسلمين والاجانب عـلى السواء ،وفي تشخيصه الجسدي ، يتلوى ذات اليمين وذات اليسار ويندفـع إلى الامام وينتصب الى الوراء ،واغماضة العينين المعروفة ، وتلون اشارات الوجه واعطاء الكلام شيئاً من هدير الاعماق ، ورفع اليد في الوقت المناسب وبالاتجاه الدراماتيكي « المحب » اللازم ، ثم الاستشهاد « بلييبنتز » « وكنت » و « هيغل » « وافلاطون » « وارسطو » « والمسيح » و « مار توما الاكويني » واحياناً بالنبي محمد ، وذلك بلغة الملهوف ، في اي معرض كان للتحدث أو المخطابة ، وهو يعلم ان تسعة

اعشار الناس لا يعرفون شيئاً عن هذه الاشياء .. ولم نر في الواقع شخصاً اكثر من « صديقنا » شارل مالك تعصباً في الظاهر « للحضارة المسيحية » و « المعتقد المسيحي الاوروبي » ، ولم نر شخصاً اقل « منه واقعياً » ايماناً بالمسيح وبالمسيحية ، واقل تقديراً لفلاسفة اليونان واوروبا ومار توما ذاته ..

ولما برز مشروع ايزنهاور ، تسلق عليه شمعون وجماعته فوراً كخشبة الخلاص من المأزق الداخلي العسير ، ولتمويه مرتكزات عهده ، وتطلعاً إلى حلم التجديد ، وفي نفسه شيء كثير من هذا الحدس لغريزة الحيوان التي تدرك فوراً ان غايتها هي في هذا الاتجاه ، وفي هذا الاندفاع إلى الغرض المعلوم ، قبل ان يتصور العقل الهدف ونتيجته في نطاق الفكر .. ومن لا يدرك ان شمعون كان يتصرف على الدوام بغرائزه ، بهذا الشيء من الحدس الحيواني فيه اكثر من تصرفه بواسطة العقل والمعرفة ، لا يستطيع ان يفهم سر حياة هذا الرجل ، « الرأس ذو الوعاء الصغير » كما كان يلقبه صديقنا عبد الله الحاج ايام كنا سوية في الجبهة الاشتراكية .

وكيف يستطيع شمعون لي يجد داذا لم يوهم الناس بأن « تطاموا

فان الولايات المتحدة هي في ظهري » ، وكان المعروف ان سفير اميركا قابل على دفعتين الرئيس شمعون راجياً منه عدم التفكير بالتجديد صوناً للمصلحة اللبنانية.. وكنا شخصياً على اضطلاع بما جرى لصداقة شخصية كانت تربطنا بالسفير الاميركي آنذاك ..

وكان شارل مالك طبعاً جاهزاً للاطنـــاب والتغرير والتشويق لمثل هذا الأتجاه الانحرافي للسلطة اللبنانية ، كيف لا وقد رأى في الامر محاولة لربط دويلة لبنان بمحور « الحضارة المسيحية الاوروبية الاصيلة » ويجعـــل نهر الليطاني ينصب في أنهر الهودسون والتنسي .. والرجـــل « مأخوذ » بالحضارة الاصيلة إلى درجة انه لا يدرك ان كل حضارة في العالم — وربما الحضارات الشرقية اكثر من الحضارة المادية الغربية ونكاد لا نسميها حضارة لولا العلم بل مدنية — لا يدرك ان كل حضارة في العالم تعكس شيئاً من اصالة الانسان وقيم جوهر ذاتــه .. ولعل في العودة إلى حضارات الشرق هذه — واليونان القديمة شرق في الواقع وفي هـذا المعنى — افضل دواء للمدنيّة الغربية المسيطرة للخلاص من الورطة المادية التي احشرت نفسها فيها ..

وفي هـذا الجو المحموم بالطائفية و بالأنشطار الحزبي الداخلي والمعبأ « بصواريخ شارل مالك » و بالتهريج الفوغاني بكل ما للكلمة من دلالة ، وسط هذا الوضع العام المشحون بتناقضات السياسة الاميركية في داخل لبنان مع سياسة بريطانيا وفرنسا — وكان « نواب بريطانيا » في المجلس النيابي اللبناني والعمـــلاء الانكليز والفرنسيين يهاجمون مشروع ايزنهور ويدسون له في السر والعلانية جادين نشيطين ، في حماس المورّث الذي لا يريد ان يرثه احد و يجرده من عقاراته وهو لا يزال حياً يرزق — وسط هذا الوضع العام الذي كان يملأه ضجيج المنازعات الشخصية ويبطنه التجديد ، تهافت شمعون وحكومته واعوانه على قبول مشروع ايزنهور وتصديقه دون العودة إلى مؤتمر من الزعماء والوجهاء وممثلي الاحزاب والهيئات اللبنانية كما جرت العادة في مثل هذه الظروف والشؤون .

وعبثاً حاول اخواننا المعارضون انقاذ الموقف بالمطالبة بعقد هذا المؤتمر الشعبي العام و بالتمهل بقبول المشروع او رفضه ، وعبثاً اصدر الحزب التقدمي الأشتراكي رأيه في مشروع ايزنهور — في افضل تحليل ربما اصدر عن المشروع على ضوء

العلم المدروس والواقع العربي .. ولكن شمعون لم يكن يبصر وراء مشروع ايزنهور الا شبح التجديد ، والظفر بتأييد الولايات المتحدة له ولأعوانه في الأمر .. فهو كان على استعداد ان يوقع عهداً مع الشيطان اذا كان ذلك العقد يمكنه من الحصول على هذه الأمنية . او لم يتفق شمعون بواسطة اخيه فؤاد وفي بداية عهده مع الشيوعيين فى لبنان لكي يكفوا عن مهاجمته ،مقابل استعداده لارضائهم ببعض ما يطالبون به وخاصة في حقل تحسين وتطور العلاقات الثقافية والاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي ؟

وفور تصديق مشروع ايزنهور في المجلس النيابي اللبناني اضطر لفيف كريم من النواب ومن ضمنهم حميد فرنجيه وعبد الله اليافي ورشيد كرامه وأحمد الأسعد وصبري حماده ومعروف سعد إلى تقديم استقالتهم بعد جهود يائسة بذلوها لأجل الحيلولة دون التسرع في اقرار أو رفض المشروع الأميركي . وكانت هذه الاستقالة بمثابة اعلان افتتاح الأزمة وبداية تجمع المعارضين وتكتلهم على صعيد واحد ...

ولكن الأزمة لم تتطور وتتعسر في تعقدها واستعصى حلها الآ عندما واجهت البلاد من جديد تعديل القانون

الانتخابي للمجلس النيابي .. فأخذ شمعون يروغ كالثعلب حول الموضوع، يدعو مختلف الهيئات والشخصيات والاحزاب للتداول معها في الموضوع، على ان قصده في الحقيقة، التعرف الى النيات الصميمة والمصالح المختلفة المتشابكة .. ثم كان يقارن بين مصلحته وهذه المصالح المتنوعة المتناقضة احياناً .. وكانت ارقام عدد اعضاء المجلس النيابي ترتفع ثم تهبط، والدائرة تتسع وتضيق وفق المتحدث الذي يكالمه ويتظاهر بمكاشفته بالأمر ليأخذ حقيقة ما عنده ..

ثم فاجأ شمعون البلاد باقرار مشروع الستة وستين عضواً مع تعديلات في مساحة المناطق تتطلبها رغبته في انجاح هذا المرشح او اسقاط فلان .. ولم ير لبنان ربما حاكماً يتقن في هذا التلاعب بالمناطق الانتخابية وفي استخدام قواعد الطرح والحذف والنقل !.

وقامت تظاهرات ثلاثين ايار للمطالبة بتبديل حكومة سامي الصلح الحزبية وتأليف حكومة حيادية تشرف على الانتخابات النيابية .. وكانت جبهة الاتحاد الوطني قد تألفت وتقدمت الى الرأي العام ومن السلطات ببيانها المعروف .. ولكن ما من شيء كان ليردع شمعون عن السير

في قافلة افكاره السياسية المنحرفة عن النهج الوطني ..

وكان البيان المذكور دعوة موجهة الى اللبنانيين للعمل المباشر في حال عدم تحقيق رغبة البلاد بحكومة حيادية ...

ولم نشترك شخصياً بالتظاهرة ، لاننا كنا على اختلاف في الرأي مع اعضاء جبهة الاتحاد حول النهج المتبع وكنا نطالب بتعديل بعض بنود البيان قبل نشره .. وكنا على يقين ان شمعون لن يتهيب وجود رؤساء وزراء سابقين ، ورؤساء مجالس نيابية ووزراء سابقين وشخصيات وهيئات محترمة على رأس المتظاهرين .. ولن يحترم بروز السيدات الى الشارع وبينهم حرم بعض هذه الشخصيات ، ولن يعتبر لسلمية التظاهر والاضراب اي معنى ، وانه علينا ان نهيىء لعمل مباشر اشد فعالية واوسع انتشاراً محوره وعماده الاضرابات الشاملة في المدن واستخدام التجمعات المسلحة في في الجبال والارياف في آن واحد ، بعد ان يتم تحضير الرأي العام لمثل هذه الخطوة الثورية ، وان تعمد الاحزاب والشخصيات والهيئات المعارضة الى مقاطعة الانتخابات النيابية ، لتجريد الحكم القائم من كل شرعية فيما بعد ..

وكنا على يقين ان شمعون — والجبان يلجأ دائماً الى

العنف عندما يتأكد من خنق اساليب خصمه — سيلجأ إلى قمع تظاهرة ايار بالقوة ، لتأكده من عدم وجود قوى جاهزة لاتمام عملية الانتفاض واكمال الانتفاضة الشعبية .. وتضامناً مع اخواننا في جبهة الاتحاد ، تمثل الحزب التقدمي الاشتراكي في المظاهرة بشخص نسيم مجدلاني والدكتور بشارة دهان وفريد جبران وسواهم ، ولان القضية في الحقيقة لا تتجزأ ، والمطلب عام هو واحد بالرغم من تباين الآراء من حيث الخطة والنهج .

وكانت محاولة القمع الوحشية للتظاهرة البريئة ، فسقط العشرات من الضحايا البريئة والقي القبض على المئات وسجنوا والحقت بهم الوان العذابات والاهانات .. وتعرضت عصابات شمعون من قوى امن ومن مسلحين للمتظاهرين وللسيدات باستفزاز يدل على الكبت المخفي ، والشعور الطائفي الباطني ، الذي غرسه شمعون في نفوس افراد هذه القوى .. واضربت المدن الرئيسية في البلاد فيما عدا بعض الاحياء المسيحية في بيروت ، الذي كان شمعون ولا يزال يضللها بدعاياته السامة عن الجمهورية العربية ، وحول مطالب المسلمين المزعوم باقالة الرئيس الماروني للجمهورية لتنصيب رئيس مسلم مكانه ، وسواها من التصاريح

والدعايات المروجة حول اشتراك سوريا ومصر في تحريك هذه التظاهرات وتغذيتها بغية القضاء على لبنان وضمه اليها .. الخ ..

وتطورت الامور تطوراً خطيراً وتفاقمت النقمـــة ، فتظاهر شمعون بالثعلبة ونزلت آليات الجيش الى الشوارع ولولاها لكانت تغلبت قوى الشعب على الدرك والشرطة .. ثم وعد باخلاء سبيل الموقوفين واتخاذ بعض التدابير الايجابية التموية ، وضمن اللواء شهاب تنفيذ هذه الوعود .. مقابل اعلان فك الاضراب . وكان اعضاء جبهة الاتحاد يتلمسون ايضاً حلاً ملائماً ، لعدم توفر تخطيط واعداد الخطوات الحاسمة التالية .. على ان شمعون ما لبث ان تنكر لوعوده وعاد يساوم ويماطل على عادته ..

على ان التظاهرة تجاوزت تأثيرها الايجابي العملي بكثير، وخاصة في الاوساط المحمدية، التي رأت في تحدّ شمعون للزعماء المسلمين وتعرض قوى الامن لصائب شخصياً واعتقـــاله ما جعل صبرهم يضيق وينفذ ويدفع « بمنصف لبنان » هذا الى ان يفكر جدياً بمصيره وبحياته وبمساهمته في لبنان .. كما كانت هذه الاستفزازات ايذاء مؤلماً لكرامة المسلمين في لبنان على اختلاف مذاهبهم ، وكان لها اصدى تجريح عميق في ضمير

اللبنانيين الواعين كافة .. من مسيحيين وسواهم ممن كانوا يتطلعون الى عواقب الامور . وبرز اخواننا في بيروت وسط المعركة ، وزادت شعبيتهم وتعلق الناس بهم وتميز خاصة صائب سلام للصلابة وللشجاعة التي اظهرت منه .. وظهر شمعون وسط المعركة « كالمجنون » فعلاً الذي لم يعد يسيطر على اعصابه ، والذي يريد ان يدلل للناس ان ما من شيء يهمه طالما ان مشروع ايزنهور ، والاسطول السادس هما يدعمانه « في ظهره » على حد تعبيره .. ولم تعد تحدياته واطماعه وشذوذه السياسي تعرف حدوداً تقف عندها . وهكذا تحولت انتخابات ١٩٥٧ إلى مأساة في جميع ادوارها وفصولها ، لبس فيها شمعون خوذة الدولار في الظاهر والمصالح البريطانية المناقضة لسياسة اميركا في الواقع وفي حقيقة الأمر .. وانجبت عملية « تفقيس » دجاجة الانتخابات المشبوهة ، التي اجريت بالعنف والضغط ورشوة المال والوظيفة والمنافع الخاصة والعامة ، « نواباً بريطانيين » اكثر عدداً مما كانوا عليه في المجلس النيابي السابق ، ولم تظفر الولايات المتحدة الا بقبعة شارل مالك ، وببيانه عن التعاون المشترك المشهور .. وادرك الاميركيون خداع شمعون لهم !..

وكان سقوطنا في الشوف ثالثة الأثافي ، في الأزمة ، بعد

ان استخدم شمعون عصاباتـــه المسلحة في المنطقة من درك ومدنيين لترويع القرى المسيحية واجبارهـا على التصويت ضدنا .. وربما كان الرجل لا يتوقع فشلنا كما ظهر من وجومه والاضطراب الدائم الذي استولى عليه طويـلاً بعد ان علم بالنتيجة ..

ولكن معرفتنا للرجل ولرغبة الثأر في نفسه، تجعلنا نتأكد انه قصد ذلك . ففي الأمعان في الأنحراف عن النهج الوطني، وفي الأسترسال في الأيذاء، لذة لا يعرفها الا الشاذين من ارباب السياسة والأحكام.. وفي تلك الليلة التي كان ينتظر فيها اخواننا واعواننــا واصدقائنا في بيتنا في المختارة وصوله، وفي القرى المتناثرة على الجبال وفي الأودية، نتيجة ظفرنا بالأقتراع مع رفقائنا في الشوف وسائر المناطق التي تقدموا فيهـا بترشيحهم بدت من مقدمات النتائج المعروفة عكس ما كانوا ينتظرونه! ..

ولما تأكدت فشلي الشخصي، وكانت السلطة ذاتها تؤجل من ساعة إلى ساعة اخرى اعلان نتيجة انتخابات الشوف، لخشيتها من تأثير اعلان ذلك، غادرت المنزل خلسة من الباب الوراني، وتوجهت إلى بيروت، مخافة ان يثور اخواني وانا بينهم — ولأن ذلك لأعتبارنا الأمر حدثاً عادياً، بالرغم من

تأثرنا لهذه الظاهرة تأتي من الوراء .. وفعلاً بلغتنا بعد ساعات اخبار الشوفيين وقد عمدوا فوراً إلى قطع اسلاك الهاتف، وإلى التجمهر على الطرقات العامة والى القيام ببعض اعمال التحدي والاستفزاز المباشر للسلطة .. وكان جهاز الأدارة والأمن في المنطقة يقبل بجميع هذه التحديات ويتجنب مواجهتها خشية ان تتطور إلى ما هو اخطر .. وحاولنا المستحيل لوقف مثل هذه الاعمال .. فعسكر في منزلنا في الشوف عشرات المسلحين لا يريدون مغادرته. وكان بقائي في بيروت على مقربة من قوى الامن التي تستطيع في كل حين اعتقالي، الضمانة الوحيدة لعدم اندلاع الثورة في الشوف قبل ان يتم اعدادها، وكنا نهدد فعلاً اخواننا بان السلطة قد تتعرض الينا شخصياً في حال قيامهم بأي عمل تخريبي أو ثوري.. وظللنا على هذه الحال أكثر من سنة نحن في بيروت، والمسلحون في بيتنا في المختارة يعسكرون..

ومنذ تلك الساعة وبعد مرور ساعات وأيام الراحة والقرف واليأس من السياسة وار بابها بدأنا نفكر بأن الثورة اضحت لا مفر منها، الا كرسنا على نفوسنا كقادة، ذل تقاعس الأجيال في توجيه قوى الشعب الزاخرة برغبة الأنتفاض، وعكفنا نعد العدة للتدريب والتسليح ولم

يكن لدى اخواننا وانصارنا الا عدد ضئيل جداً من البنادق الحربية لا يتجاوز ربما الثلاثين ... وتم اتصالنا بمن يجب الاتصال بهم .. وعلى الرغم من جميع جهودنا فلت زمام الأمر منا، ولم نتمكن من ردع تسعة رجال اشداء من تسلق جبل الكنيسة والابتداء بعمليات نسف الجسور وخطوط سكك الحديد واطلاق النار على مراكز قوى الأمن والاعتداء على الأسلاك الهاتفية ونسف انابيب المياه للانتقام منها .. وعاد الأخوان من رحلتهم إلى بيوتهم بعد ان تبادلوا اطلاق النيران مع ثمانين دركيـــاً، وافلتوا من حصارهم وضللوهم وتركوهم يضربون الطوق حول غابة «كفرسلوان» اربعة ايام متوالية ويحشدون القوى الكبيرة حولها لا يتجرأون على التغلغل فيها، وما كان فيها من « المتمردين » .. وكان لا بد ولا بأس من هذه المغامرة الصغيرة لتهدئة روع هـؤلاء الأبطال وللتفريج عن صدورهم، فالبطولة شغف اصيل وجوع مقيم في النفس لا يرتضي الا اعمال البطولة طعاماً وكان لا بأس من تدريبهم ايضاً « عملياً » وبالذخيرة الحيّة كما يقولون، وعادوا بقـوة معنوية وبفرح وبشعور بالثقة بالنفس لم نعهده بهم من قبل .. وكانوا يزغردون في وجه الرصاص المنهمر عليهم .. وكنا نحن الذين

امضينا ليلة عذاب والم نفساني كبير لخشيتنا على حياتهم ومن
ان تخدش اقدامهم بعض اشواك المضبات، ونحن لسنا بينهم ولا
نسير في مقدمتهم .. ومن يتعرف إلى امثال هؤلاء الرجال
« الرجال » بكل ما للتعبير من شرف وايجابية وشهامة وقوة،
والذين يركضون إلى الموت كمن يذهب الى عرس الربيع في
عنفوان اوج بهجة الحياة وإندفاع فرح الخلق. ان الذي يتعرف الى
هؤلاء «الأخوة في الرجولة» يصعب عليه ـ صعوبة التضحية
باولاده ، بأعز ما لديه ، بنفسه ـ تعريضهم للجرح او للقتل او
للأعتقال او حتى للتعب والشقاء . ولو كان مقابل ذلك القضاء
على الف الف شمعون ، ـــ وما قيمة هذا الرجل اذا وزن بمثل
هذه الموازين — لولا هذا اليقين بان البطولة لا تولد ولا تنمو
الا اذا غرسنا اديم الأرض ببذور البطولة ..

وبلغ هلع المسؤولين ذروته ، خاصة بعد ان تأكدوا
انعدام جدوى قوى الأمن في الوقوف في وجه اي اضطراب
جزئي او شامل يقع في البلاد . ولأن المحسوبية والتواكل
والحزبية والطائفية والرشوة كانت قد مزقت معنويات وايجابية
هذه القوى ..

وافادتنا عبرة هـذه « النزهة الصغيرة » لبعض اخواننا على جبل الكنيسة ، لكي ندرك خطورة الاعمال الارهابية في لبنان على شمعون وعلى عهده وفعاليتها في تصدع حكمه ومن سخرية القدر اننا اصبحنا نتقن هذا « الفن » الجديد تدريجياً لأشاعة القلق والاضطراب في نفوس ارباب السلطة دون التعرض لحياة الاشخاص كما حصل ويا للأسف فيما بعد عندما اخذ بعض اخواننا في المدن يستخدمون المتفجرات على غير هدى فيلحق الكثيرين من الابرياء المساكين القتل والجرح والاضرار المادية ...

وتعددت الحوادث في الشوف وفي منطقة راشيا وكان الناس يبيتون على اللظى ، وكانت السلطة تزيد في اضرام حماس الناس وضيق صدرهم .. وحاول شمعون تطويق بيت صديقنا ورفيقنا الدكتور بشارة الدهان في صوفر حيث كنا نمضي الليلة ولكن سكان القرى المجاورة احاطوا بقوى الامن وحاولوا تطويقها بدورهم . وربما كان القصد اعتقالنا . وفي الوقت ذاته كانت قوى الامن تحيط بيتنا الكبير في المختارة وتشرف على الهضبات والجبال المحيطة به ، وتتقدم على الطرقات العامة المصفحات وتساندها بعض مدافع الهاون ، وغايتها الدخول الى القصر

وتفتيشه واعتقال المسلحين فيه .. ولكنهـــا اضطرت الى الانسحاب بعـــد ان تأكدت عزم المتجمعين في البيت من اخواننا - وكان عـددهم لا يبلغ الثلاثين مجاهداً - ان يواجهوا القوة بالقوة وان يقتلوا و يقتلوا على بكرة ابيهـم ولا يأذنوا لقوى شمعون من دخول « دار المختارة » ،على حد التعبير الدارج .. وكان بدأ الهياج يعم القرى المجاورة واخذت تستعد للمعركة . . وتدخـــل شخصياً اللواء شهاب لمنع المجزرة ..

واخذت السلطة تفاوضنا وتساومنا على عادتهـا ، وهي تهيء في الخفاء ضربة اخرى حاولت ايقاعها بزعيم منطقة راشيا ،شبلي آغا العريان و بالمسؤول عن بعض عمليات تحضير اجهزة الدفاع والتدريب سلمان ابوحمزة الذي لجأ آنذاك الى دير العشائر . . فحاولت قوة كبيرة من الدرك ، تبلغ مايـة وخمسين مجهزة بادواة القتال و بمعاونة بعض المدنيين المسلحين، حاولت التقـدم لتطويق واحتلال دير العشائر ، مقر شبلي آغا العريان .. وسلمان .. فكان ان تصدى لهـا ما يقارب الثلاثين من اخواننـا وهزموها واعادوها على اعقابهـا بعد معركة ضارية استمرت اقل من نصف ساعة، وقع ابانها عدد

من القتلى والجرحى .. وظلت طوال عهد شمعون « امارة دير العشائر » مستقلة تمام الاستقلال عن سلطة شمعون في لبنان.

واخذت الحوادث تتصل بعضها ببعض بتدرج تصاعدي متزايد .. ووقعت معركة « جبل الكنيسة » الثانية بين فريق من مهربي السلاح وبين قوى الامن .. وكادت تتحول الى ثورة بفضل اشتراك بعض سكان القرى المحيطة بملاحقة قوى الأمن من الوراء لفك الحصار المضروب على الجبل .. واضطرت قوى صغيرة من الجيش ان تتدخل وضربت بمدفعية مصفحاتها بعض الهضبات المحيطة بقرية « مجدل البعنا » لمنع تفاقم الحالة ..

وهذه الحوادث وسواها كانت التمهيد الطبيعي للثورة اللبنانية .. فالدولة كانت في عهد شمعون الأخير قد تحولت إلى عصابات مسلحة فعليّة ، وكان الأهلون ، وخاصة اخواننا في الجبال ، بدأوا يشعرون ان العصابة الرسمية لا يمكن مواجهتها الاّ بعصابات شعبيّة مماثلة وبتشكيلات عسكرية شعبية نظامية .. وبدأ هذا الأقتناع ينتشر في اوساط اخواننا المعارضين .. فالدولة البوليسية لا تقاوم الاّ باساليب مناسبة معينة .. لو كان المهاتما غاندي يعيش في احدى الدول الجماعيّة

وفي مرحلة السيطرة البوليسية لكان قضي عليه منذ بداية دعوته ولكان اخفت صوته ولما كان عرف شيئاً عنه احد فيما بعد ..

ان خروج شمعون ابان ولايته عن مبادىء الدولة البديهية في الأنصاف وعدم التحيز بين الناس واستخدامه لقوى الأمن كقوى خاصة به لا بالسلطة الشرعية ، وتشويه نتائج انتخابات ١٩٥٧ ... ومحاولته ضربه للزعماء الوطنيين الواحد تلو الآخر لتكريس واقع انحراف سياسته الخارجية ، اذكى النقمة الناجمة عن هذا الأنحراف الوطني وكان السبب المباشر للثورة ..

فسياسة القمع لا تفيد خاصة في لبنان ، اذا لم يدعمها شعور بالوطنية ، بالعدالة ، بمطلب من مطالب قيم الحياة .. وسياسة القوة لدعم الحكم الشخصي الأتوقراطي لم تعد سياسة الجيل الذي نعيشه .. هذه كانت عبرة الانتفاضة الشعبية الرائعة في وجه شمعون ! ..




للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

٤ | لبنان والوحدة العربية




للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

ان لبنان، يقوم على غرابة ما فيه من ازدواج وتناقضات، ومن تيارات فكرية وحضارية مختلفة تنتسب إلى احقاب تراثية متفاوتة في عمقها في التاريخ ، كأن تطور الشرق العربي ، قبل الاسلام والمسيحية وبعدهما قد تجمع فيه وانكفأ ضمن حدوده . ولعل في تكوين طبيعة لبنان الجغرافية وفي ما انقسمت اليه من اودية تفصلها ، بعضها عن بعض ، جدران حقيقية من الجبال ، فتتوزع المنبطحات والوديان والانهر والسهول الصغيرة فيما بينها كأنها مقاطعات ومناطق اقليمية متعددة ، لها لهجتها الخاصة بها ، ولها تقاليدها ، ولها معتقداتها ولها روح جماعية تختلف في مفاهيمها ونظرتها لشؤون الحياة والوجود ، كلما عبرت من منطقة إلى منطقة او قفزت من مستوى ارتفاع إلى مستوى ارتفاع آخر بالنسبة للبحر، في حركة تسلقك صعوداً نحو الجرود العالية التي تكللها القرى إلى علو الف وستماية والف

وثمانية متر واكثر ، اذ هبطت في نزولك نحو مستوى الماء المالح الذي يدين له « الجبل — الجدار » بامطاره ، ولطف مناخه — هذا المناخ الذي ينقل بك ، في نصف ساعة من انطلاقة السيارة ، من الطقس الشبه استوائي رطوبة وحرارة وانتاجاً زراعياً ، الى ثلج وارز قمم الاقاليم الباردة وانتاجها.

وقد تجمعت ضمن حدود لبنان وتوزعت ، في زوايا جباله ، جميع المرتقات والمذاهب تقريباً التي شهدها الشرق الاوسط ، عبر تاريخه الشامل لثلاثة آلاف من السنين بعد ان كانت تتقلص او تكاد عقب انتشارها وسيطرتها على سهول ومربعات سوريا والجزيرة العربية والهلال الخصيب والمغرب العربي ومصر وايران .. وطبيعة السهل ان لا تتسع لغير العقيدة البسيطة في تركيبها الفكري والواحدة الشاملة .. وهكذا كان انه كلما تعقد معتقد او مذهب ، بفعل مختلف تيارات التراث ، وتقلص عن مستوى مفاهيم السهول والبوادي والصحاري الفسيحة ، لجأ إلى لبنان ينزوي في احدى وديانه أو منبطحاته .. فلبنان في هذه الوجهة فسيفساء مصغرة لخريطة الشرق الاوسط ومصر والمغرب .. وكل قرية او دسكرة امارة صغيرة لها طابعها الخاص .. أو كأنه متحف حي لمخلفات

الشرق التراثية .. فالسريانية — وهي فرع متأخر للآرامية الكنعانية — لا تزال لغة معتقد الطائفة المارونية ، واليونانية والحانها مرتكز طقوس الارثوذكسية ، وفي الدرزية شيء كثير من الافلاطونية القديمة والمستحدثة ، وفي الشيعة شيء من اليونان ومن ايران ... فهناك ستة عشر مذهب وهرطقة ومدرسة فكرية وملة .. هذه الفسيفساء يجمعها ويضمها بعضها إلى بعض ، وحدة الجبل الطبيعية المتأكدة بالرغم من توزع زواياه وتعاريجه والتفافاته — هذا الجبل « الحد » الفاصل بين سهول وبادي الداخل وسهول مياه البحر المتوسط المالحة التي تمدد وتزحف لتلف وتغطي اقدامه.. وهذه الفسيفساء يجمعها ويضمها ويوحدها في تدرج متزايد ، في العصر الحديث ، رباط اللغة العربية وتراثها السياسي والاجتماعي والعلمي والادبي النامي ، و« صمغ » الشعور العربي والوعي العربي المتطور والمتركز اكثر فأكثر على وحدة المصالح ووحدة الاشتراك في الحياة في عالم تتقلص وتكاد تمحي حدوده ، ووحدة المصير ..[1]

---

(١) راجع بحثنا عن « الواقع اللبناني » المنشور في مجلة الندوة اللبنانية .

وهذه العناصر المؤلفة من ازواج متباينة متنافرة احياناً تدفع بالبلد اللبناني الى التفكك والانزواء والانعزال ،ورابطة الوطنية والعروبة ووحدة التعايش والشعور بالمصير المشترك تدفع «باجزاء لبنان الروحية» وباقسامه الطبيعية الجغرافية إلى التكتل والتجاذب والانصهار ..

ولا يمكن فصل الوطنية اللبنانية ، الى حدّ كبير ، عن الشعور العربي وعن الوعي العربي ، كما تأكدنا ذلك بوضوح لا يخامره شك في اختبارنا الوجودي الصميمي ايام اندلاع ثورة لبنان الأخيرة .. وما كانت محاولات فخر الدين المعني وسواه من كبار امراء لبنان في حقل انشاء دولة مستقلة ، الا تمهيداً للنهضة السياسية العربية فيما بعد ..(٢)

واذا ما عدنا الى التاريخ الحديث نرى هذا الارتباط الحياتي الصميمي جلياً .. فبعد هذا الانبعاث السياسي المتمثل بسيطرة عائلة محمد علي ومصر على سوريا وبعض اجزاء

---

(٢) كما كانت بالنسبة للقطر السوري حركات ومحاولات الانتفاضات الشعبية ، لبعض الامراء وبعض الزعماء المغامرين وخاصة محاولة الامير علي باشا جانبولاد ، جد الاسرة الجنبلاطية اليوم في لبنان وتأسيسه لامارة شملت سوريا من حدود كيليكيا حتى عريش مصر (راجع المؤرخ الاب قرعلي) ، وكذلك الثورات المتصلة تقريباً لسكان جبل الدروز في سوريا – جبل العرب – ضد السيطرة العثمانية ...

الجزيرة العربية وحملته على الامبراطورية العثمانية ، هذه الانطلاقة التي يسميها جورج انطونيوس «البداية الخاطئة» — في محاولة انشاء سلطنة صغيرة على شواطىء البحر المتوسط، بعد هذا الحدث العسكري والسياسي العابر الذي كان له ولا شك اثره في الوضع المعنوي العام للشرق العربي ، بدأت النهضة العربية ، في الحقيقة وفي الواقع، يوم اخذ الوعي للادب العربي ولأسرار كنوز لغة الضاد ينبثق في لبنان وينمو وينتشر، وما ابث الوعي السياسي للقضية العربية وللقومية العربية ، ان استيقظ بدوره واخذت موجة تحققه واندفاعة تقوى وتعم الاقطار العربية، تتدفق اليها من البلد اللبناني الصغير ...

اما النهضة الأدبية فقد سبقها ومهّد لها قدوم بعثات التبشير الاجنبية واقامتها في سوريا — وكان هذا الاسم مشتركا للبنان وسوريا آنذاك في التسمية العادية وفي معجم ارباب التاريخ والجغرافيا — وذلك منذ بدايات القرن السابع عشر. وكان هم هذه المؤسسات التبشيرية بادىء ذي بدء — على هامش نشاطها التثقيفي — نشر الدين المسيحي، والتسابق فيما بينهما، يوم اقبل المبشرون الاميركيون البروتستانت بدورهم، على الزيادة من عدد المؤمنين بهذا او ذاك المذهب من المعتقد

المسيحي الواحد ... وكان ولا يزال التنافس فيما بينها قنص
ارواح الناس هذا الى الجنة وذاك الى جهنم ، على اشده ..
وفي سنة ١٨٣٤ اعاد الاباء العزاريون الافرنسيون فتح كلية
عينطورة للصبيان. ثم كان الحدث الثاني وهو انتقال مطبعة هيئة
التبشير الأميركية بآلاتها ومعداتها من مالطة الى بيروت .
والحدث الثالث كان تأسيس مدرسة للبنات على يد «إلي سميث»
وزوجته .. اما الحدث الرابع فكان ان ادخل ابراهيم باشا
لسوريا وحقق نظاماً واسعاً للتعليم الابتدائي للصبيان على
شاكلة ما قام به والده في مصر .. وكان مستوى التعليم قبل
ذلك منخفضاً جداً ، بالرغم من المحاولات التي برزت في
مدرسة عينطوره (المتن) المارونية، للاكليريكيين الجدد ، التي
اوكل امر ادارتها لليسوعيين ، وفي كليات زغرتا (١٧٣٥)
وعين ورقا (١٧٨٩) . وكانت تأسست مطابع عربية في
اسطمبول (١٨١٦) وفي القاهرة (١٨٢٢) اخذت تسهم في
طباعة ونشر بعض الكتب .. ولم يكن نشاط هيئات التبشير
الكاثوليكية اقل بروزاً من اخوانهم البروتستطانت ،
فقد تأسست على يدهم عدة مدارس وكليات منها : في بيروت
(١٨٣٩) وغزير (١٨٤٣) وزحلة (١٨٤٤) ودمشق (١٨٧٢)

وحاب (١٨٧٣)...وتحولت مدرسة غزير سنة (١٨٧٥) عند انتقالها الى بيروت إلى جامعة القديس يوسف في مقابل الجامعة الأميركية (الكلية البروتسطنية السورية التي كانت تأسست وانطلقت سنة ١٨٦٦ في بيروت) ..

هذه النهضة التعليمية وهذا التسابق على حشد الناس على ابواب الجنة دفعت بالنهضة الأدبية واللغوية الى النمو والأزدهار .. «و بدون مدرسة أو كتاب لا يمكننا ان نتصور نشوء الأمم في العصور الحديثة . »على حد تعبير جورج انطونيوس .. وكانت هذه النهضة الأدبية عربية في كل ما لهذا التعبير من دلالة ، تمثلت بشخصيتين كبيرتين : ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) و بطرس البستاني ... ثم اخذت تنتشر الجمعيات العلمية : « جمعية العلوم والفنون » (١٨٤٧) التي أسسها اليازجي والبستاني ، وكان الكولونيل تشرشل المشهور احد اعضائها وكانت تضم خمسين عضواً معظمهم من المسيحيين، ثم عمد الآباء اليسوعيون الى تأسيس « الجمعية الشرقية » ثم ما لبثت هاتان المحاولتان ان اندثرتا وانبثقت «الجمعيـــة العلمية السورية» التي كانت تضم مابة وخمسين عضواً من مختلف الشخصيات العربية والمعتقدات ،

وكان يرأسها الأمير المثقف الدرزي محمد رسلان .. وفي بعض الاجتماعات السرية لهذه الجمعية العلمية السورية، على حد تعبير جورج انطونيوس الشوفي[1]، ارتفعت اول صرخة وجاش اول نداء لحركة القومية العربية .. وكان احد اعضاء هذه الجمعية الأديب الكبير ابراهيم اليازجي احد اولاد ناصيف ، قد نظم قصيدة بشكل نشيد ضمنها الدعوة للامة العربية ولتحقيق امجادها الغابرة ، والقضاء على المنازعات الحزبية والطائفية ، متهجماً على ظلامات الحكم القائم وعدوانه ، داعياً «السوريين» الى التكتل والتضامن لاجل الخلاص من نير الأحتلال العثماني .. وقد كان لهذه القصيدة الوطنية العربية إنتشاراً هائلا في البلاد ، يتناقلونها عن ظهر القلب ...

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي دامت خلافته ثلاثة وثلاثين سنة حتى سنة ١٩٠٩ ، نمت الفكرة العربية التي رأينا بذورها تتوزع وتنتشر منذ بدايات القرن التاسع عشر ، واخذ الوعي العربي القومي الذي انبثق من ارض لبنان

---

(١) جورج انطونيوس : مؤلف كتاب « اليقظة العربية » (The Arab Awakening) الشهير ، وهو من مواطنينا المسيحيين الشوفيين ومن مواليد عبال «لبنان» .

وسوريا يعمّ الأقطار المجاورة الناطقة باللغة العربية .. وكان نظام ١٨٦٤ الموضوع يضمن للبنان الصغير حرية نسبيـة في التعبير عن الرأي وفي حقوق المواطن العامة ، واستقلالا محدوداً ، بالرغم مما اشتمل عليه هذا النظام من تكريس واذكاء وتقوية للطائفية السياسية في انظمة الدولة ـ الامر الذي لا نزال نعاني آلامه ونئن من نتائجه ومن تأثيره على المجتمع اللبناني ـ هذا التكريس الطائفي الذي سيشكل ، كما سنرى ذلك في الفصل المقبل ، احد اسباب الثورة اللبنانية الأخيرة ..

اما هذا الوعي الوطني العربي ، فقد تمثل في الحقل السياسي ، اول ما تمثل ، وفي النطاق اللبناني السوري ، يوم اقدم خمسة من الشباب المثقفين في المدرسة السورية البروتستنتية في بيروت على تأليف جمعية سياسية سرية .. وكان هؤلاء الشبان الخمسة جميعهم مسيحيين ، على انهم قرروا فيما بعد ان يضموا اليهم بعض الدروز والمسلمين الآخرين ، لما لمسوه من ضرورة ذلك .. وكان مركز الجمعية في بيروت ، ثم اقاموا لهذه الجمعية فروعاً في دمشق وطرابلس وصيدا .. وكان هؤلاء الشباب نظراً لاهدافهم الثورية ، يعملون في الكتمان الشديد .. وتحقق ابرز نشاطهم في تعليق البيانات المغفـــلة في الشوارع ..

وكانت هـــذه البيانات تثير اهتمام الناس وتشكل محور احاديثهم وتعليقاتهم في انديتهم الخاصة ، ثم يعود « الاخوان المتآمرون » على سلامة الدولة ، وينشرون البيانات المقبلة الاخرى على ضوء ما كان يجري في هـــذه الاندية من تقولات وتعليقات . وسيطر القلق على سلطات ذلك العهد مما كانت تتداوله على التوالي شوارع المدن الكبرى من عملية لصق الاعلانات، كأنها تجري بسرعة هائلة واتقان وتصميم مسبق . وكان بين اعضاء هـذه الجمعية السرية الدكتور فارس نمر، احد مؤسسي المقتطف والمقطم، فيما بعد في مصر . اما اهداف الحركة فقد اعلنتها الجمعيـة وحددتها بما يـلي :

— « منح الاستقلال لسوريا وبالاتحاد مع لبنان »

— « الاعتراف باللغة العربيّة لغة رسمية في البلاد »

— « ازالة الرقابـة وسواها من القيود المفروضـة على حرية التعبير ونشر المعرفة .

— « عدم استخدام وحـدات الجيش التي ينتسب افرادها لسوريا ولبنان خارج حدود هذه البلاد ..

ولما تطورت القضيّة العربيّة وتحددت مفاهيمها ، كان

للبنانيين سهم كبير، في بلادهم وفي مصر والسودان والعراق والعربيّة السعودية، في تطويرها ودعم انطلاقتها، وتزعم نضالها، وخاصة في حقل تأسيس الصحف والمجلات وبعث النهضة في الادب العربي والشعر وتأسيس دور الطباعة والتعليم وانشاء الجمعيات السياسية كجامعة الوطني العربي (Ligue de la patrie Arabe) التي اسسها في باريس سنة ١٩٠٤ نجيب العازوري وكان هدفها المعلن تحرير سوريا والعراق من السيطرة العثمانية، وجمعية «الاخاء العربي» وجمعية «المنتدى العربي» ثم «القحطانية»[1] وجمعية «العربيةالفتاة»[2] التي كان الامير فيصل فيما بعد احداعضائها؛ و «جمعية العهد» السرية للضباط العسكريين، وحزب

١ ـ ومن اعضاء القحطانية : سليم الجزائري «دمشق»، الامراء امين وعادل ارسلان «لبنان»، خليل حماده «بيروت»، امين قوزما «حمص»، علي النشاشيبي «القدس»، صفوت العوي وشكري العسلي «دمشق».

٢ ـ ومن اعضائها : عوني عبدالهادي «جنين»، جميل مردم «دمشق» محمد المحمصاني «بيروت»، رستم حيدر «بعلبك»، توفيق الناطور «بيروت»، رفيق التميمي «نابلس» عبد الغني العرايسي «بيروت». وقد شنق الاتراك ثلاثة منهم هم الناطور والمحمصاني والعرايسي..

اللامركزية الادارية العثماني [1] الخ ..

وكان التيار اللبناني الانكماشي التقليدي يتمثل ،في مقابل هذه الجمعيات العربية ، في بعض المحـــاولات والتكتلات « كجمعية الارز » وسواهـا ، التي لم يكن لها اثرا كبيراً في النضال الثوري المباشر ، لتغلغل فكرة الحمايـــة الأجنبية وضرورتها وسيطرة مركب الانعزالية والخوف على هـذه المحاولات ، خاصة بسبب ما خلفته في الاذهـان حوادث (١٨٤٠-١٨٦٠) المؤسفة ... على ان هذه المحاولات والتكتلات ساهمت في ادماج الشعور العام المسيحي اللبناني التقليدي المتطرف وفي صهر نشاط رجال الدين السياسي في الحركة التحريرية العامة .. فتلاقى الجميع على انهم عرب مستعمرين (بفتح الميم) مقابل أتراك مستعمرين (بكسر الميم) ..

ثم اندلعت الثورة العربية في الجزيرة واشترك العديد من اخواننا المسيحيين فيها وساهموا في تنظيمها ورافقوا فيصل جنباً الى جنب معه [2] .. وكان ان تقلصت السيطرة العثمانية عن بلاد

---

١ ـ ومن اعضائه: رفيق العظم: « دمشق »، رشيد رضا « طرابلس »، اسكندر عمون « دير القمر، لبنان » ، فؤاد الخطيب « لبنان » سليم عبد الهادي « جنين » حافظ السعيد « يافا » ، نايف تلو « دمشق » علي النشاشيبي « القدس » .

٢ ـ نذكر على سبيل المثل جورج انطونيوس وسليم عمون ..

العرب اثر الحرب العالمية الاولى، فظهرت من جديد الانشقاقات العقائدية والتوجيهات المختلفة في النضال الوطني اللبناني العام، وتجلى التيار الانكماشي التقليدي في مطالبة فريق من من اللبنانيين وعلى رأسهم رجال الاكليروس الماروني وكثرة الزعماء المسيحيين مع نفر من المتزعمين السنة والشيعة والدروز، بالمطالبة باستقلال لبنان الوهمي تحت رعاية وحماية الانتداب الافرنسي .. فبدا للملأ ان الاتحاد ابان المعركة وفي المحنة انما كان لاجل الخلاص لا اكثر من الاستعمار التركي وابداله بانتداب آخر .. فكانت الفرقة بين اللبنانيين وهذا الشعور العميق بالجفاء، وهذا الاتهام المشترك بخيانة لبنان (هؤلاء لانهم يريدون الوحدة مع سوريا، واولئك لانهم يريدون بقاء الاحتلال الاجنبي في البلاد !..)

وما كانت مؤامرات الدول الاوروبية الكبرى على تقسيم اجزاء واسعة من العالم العربي فيما بينها، وتدخل الافرنسيين العسكرين لازالة حكم فيصل عن دمشق وسواها من الاحداث، الا لتزيد الكبت الداخلي بالنسبة للوطنيين « الوحدويين » العرب في لبنان وكل من لف لفهم ممن لا يروق لهم الاحتلال والمبدأ الطائفي المسيحي الذي انبثقت منه

لدولة اللبنانية المستحدثة — على عكس سابقاتها في التاريخ التي لم ترتدي مطلقاً طابع ومركب الاقليات..

ولما جاءت انتفاضة سوريا سنة ١٩٢٥ التي تمثلت بثورة ابراهيم هنانو وخاصة بثورة جبل الدروز (جبل العرب فيما بعد)، وامتدت هذه الثورة إلى مناطق راشيا وحاصبيا والشوف وبعلبك في لبنان ، واجتاحت قوات الثورة وعلى رأسها الامير عادل ارسلان وفؤاد بك سليم هذه المناطق، اوشكت الحرب الطائفية ان تندلع من جديد ، لشعور كثرة اللبنانيين المسيحيين بان انتصار الثورة السورية يعني تقلص النفوذ الافرنسي عن سوريا ، مما يمهد لزواله عن لبنان ايضاً... وقد افاد الافرنسيون من هذا الشعور ليضرموا نار الفتنة وليشوهوا الانتفاضة الشعبية السورية الكبرى التي استمرت ثلاثة سنوات في وجه اقوى جيوش الحلفاء آنذاك ، فكان اللبنانيون في بعض المناطق المشتركة في سكناها يستيقظون ، ليشاهدوا احياناً جثة درزي قتيل قد وضعت بالقرب من بلدة مسيحية، او جثة مسيحي بالقرب من قرية درزية... وكنا لا نشك ان للامن العام اللبناني الافرنسي يد في ذلك ... ولولا تدخل العقلاء و بينهم سيدتي الوالدة، ولولا الانضباط التي تحلى

به الثوار، لكانت وقعت ـ لاسمح الله ـ الواقعة.. واندلعت نار الفتنة الطائفية ...

وظل البلد اللبناني على هذه الحال من التناقض الداخلي والانشقاق والقلق والحذر المشترك حتى سنة ١٩٣٦، بالرغم من محاولات الافرنسيين اليائسة في صهر المتنكرين للوضع وبعض زعمائهم في بوتقة المواطنية « الافرنسية اللبنانية » على طريقة الجزائر او ربما جزيرة كورسيكا .. وكانت التظاهرات والاضرابات في المدن الكبرى، واعمال الشقاوة تتكرر وتستمر، تستمد حيويتها من هذه النقمة والفرقة ذاتها .. وارتفعت المطالبة بالدستور التي التف حولها الرأي العام اللبناني لاقتناعه بأنها الخطوة التمهيدية الاولى في طريق المطالبة بالاستقلال والسيادة .. وظفر اللبنانيون بدستورهم، على ان تنفيذه ظل رهن ارادة اهواء السلطة المنتدبة الافرنسية، فكان يعلّق ثم يعاد العمل به .. وتمّ تأليف الكتلة الدستورية التي كان يرأسها بشارة الخوري، ومعظم رجالاتها من المسيحيين كميشال زكور وسليم تقلا، للمطالبة بالدستور وبعدم تعليقه .. وايد وساند التيار الوطني العربي هذه المطاليب .. وما لبث ان التقى الفريقان على صعيد واحد،

على الاقل فيما يتعلق ببعض شؤون الحكم الداخلي اللبناني..
ثم تطور الامر بالكتلة الدستورية إلى المطالبة بالاستقلال مع
انشاء ارتباط تعاقدي بمعاهدة مع الافرنسيين ، كما ان اعضاء
الكتلة الدستورية قبلوا بصبغة لبنان العربية .. وكان هذا
الاعلان في الواقع رقبة الجسر التي مهدت للقوى الشعبية
المتناقضة ان تتلاقى وان تنفتح بعضها على بعض وان تتفق
على المطالبة باستقلال البلد اللبناني ، لما اخذت مساوىء حكم
الانتداب الداخلية تظهر للعيان فانجرف في موجة النقمة ،
المسيحي والمحمدي على السواء ...

وكانت معاهدة ١٩٣٦ ،المعروضة من قبل السلطة الأفرنسية
على سوريا إثر تسلم الجبهة الشعبية مقاليد الحكم في فرنسا ،
الباب الطبيعي الذي انفتح امام اللبنانيين ايضاً للخلاص من
السيطرة الاجنبية المشتركة.. وكل ما ينفذ في سوريا لا بد أن
يجري شيء يقابله في لبنان.. وهكذا تم توقيع أول معاهدة، في
طريق الاستقلال، بين ممثلي الحكومة والمعارضة اللبنانية من جهة،
وبين الفريق الفرنسي المفاوض . الا ان المجلس النيابي
الافرنسي رفض ابرام هذه المعاهدات .. وكان على اللبنانيين
ان ينتظروا الحرب العالمية الثانية وسنة ١٩٤٣ ، ليحققوا

امنيتهم الغالية هذه .. وكان الرأي العام اللبناني اخذ يتقارب كثيراً بعضه من بعض وبدأت الشقتان تنسجمان وتتوافقان وكأنهما على وشك الانصهار ..

وولد الاستقلال سنة ١٩٤٣ في هذه النشوة التوحدية بين مختلف اجزاء الوطن اللبناني وتنوع مذاهبه ونزعاته واتجاهاته ، بالرغم من مقاومة التيار الانعزالي التقليدي ..

وتم دخول لبنان في الجامعة العربية التي تأسست آنذاك والتي ساهم في فكرة تأسيسها بعض رجال الدولة اللبنانيين، وذلك دون أن يقع أي رد فعل يذكر للفئة الانعزالية .. وقد كان لرياض الصلح ولعبد الحميد كرامي ولبشارة الخوري سهم مجلي في تهيئة الجو الملائم لاقامة واستقرار الأوضاع الجديدة .. وكان الفضل لرياض الصلح في ايجاد الصيغة التي اتفق عليها جميع الفرقاء والتي اوجدت ما يسمونه في لبنان : الميثاق الوطني ، اي هذا التوافق والاتفاق بأن يعدل هذا الفريق عن المطالبة بالوحدة السورية ويقبل بكيان لبنان وباستقلاله « عن الشرق (اي عن الداخل) وعن الغرب » وان يعدل الفريق الآخر عن الحماية الأجنبية ويقبل بالاستقلال الناجز وبالسيادة التامة بدون معاهدة او حماية ، « وبوجه لبنان

العربي » (اي ، في الواقع ، بعروبة لبنان) ..

وكان من المتفق عليه الا يرتبط لبنان بمعاهدة والا يكون فيه امتياز لدولة بالنسبة لدولة اخرى ، وان تكون سياسته الخارجية عربية تحررية وان تنتهج الحياد السياسي ..

كما وانه جرى اتفاق ضمني على توزيع بعض الوظائف الكبرى في الدولة على بعض الطوائف صونا لروح التفاهم العام ..

الميثاق الوطني هو كل هذا .. وقد حرص العهد الاستقلالي الاول على تنفيذه ، خاصة يوم كان التوافق والتعاون على اتمه بين رجل المسيحيين القوي آنذاك بشارة الخوري ورجل المسلمين القوي رياض الصلح .. وللشخصية اهمية اساسية اولى في لبنان ، بلد الفردية الجامحة ..

على ان الميثاق الوطني مرحلة تمهيدية « وسطية » بين وضعين ، ولا يجوز التوقف عندها دون اجتيازها الى تأسيس الدولة والوطن والامة .. والا انقلب السحر على الساحر ، ولا ترتقي الشعوب الا ما تؤمن به ، ولا تؤمن الا بقيم واهداف واضحة جلية .. ولا يبنى ايمان ولا تقوم ارادة ارتباط بالارض وبالتاريخ ولا يؤسس وطن على التسوية

فقط دون تجاوزها إلى ما يشكل تجسداً اقوى واوضح واعمق لقيم الانسان والمجتمع والحياة ..

وكانت هذه هي ناحية الضعف في السياسة «التصفية» التي اتبعها فيما بعد بشارة الخوري ورياض الصلح في « تدبير وترتيب الامور » على حد اللغة الدارجة آنذاك ... وهذه التصفية في معالجة اخطر قضايا المجتمع والوطن اطلاقاً اوقفت المجال او السعي الطبيعي لتطور فكرة الوطن والدولة في لبنان ، وكانت سبباً فيما بعد للثورة اللبنانية ، كما سنوضح ذلك ..

وكانت سياسة بشارة الخوري ورياض الصلح ، من هذه الوجهة ، قصيرة النظر تعوزها الجرأة الخالقة للامة وللتاريخ في لفتة من قدر التطور السانح .. كان يتوجب طبعاً القاء شيء من فتات مائدة الدولة لمستغلي الطائفيات ، وان يكون للشيطان حصته في كل هذا ، على انه كان يجدر الالتفات إلى تكوين وطن لبناني متحرر من الطائفية ومن الاوضاع التأخرية ، في تخطيط وتوجيه صارم وتعديل تدريجي للقوانين والدستور والأنظمة .. وإلى الذين يدعون بأن الاكثرية لم تكن توافق على مثل هذا التحول التقدمي للدولة اللبنانية ،

يسهل الجواب : بأن الاقليـة الوطنية الواعيةهي وحدها التي تستطيع تطوير مفاهيم الأمـة ودمغ المجتمع بطابع الحيـاة والتقدم والايمـان والقوة ، ولا قيمة للاكثرية في وجه هـذه الخميرة الفاعلة .. ثم ان المتذرع بمثل هـذه الاعذار ، يجهل او يتجاهل ما للقوة المعنوية (قوة التوجيه والايمان باهداف مثالية وواقعية واضحة) وما للقوة المادية (قوة السلطـة الاكراهية) مجتمعتين من تأثيرفي صهر الجماعةوانشائهاوتحريكها و « قولبتها » : فهذه القوة « في معنياها المزدوجين » هي « القاطرة » التي ترفع بالنضـال الشعبي و بروحيته فوق مستواه العادي المتعثر ، وتدفع بالشعوب وبالتـاريخ اجيالاً إلى الامام .. ثم ان المشاكل السياسية والاجتماعيـة التي يتغاضى رجل الدولة عن حلهـا في الوقت المناسب تتعاظم مع الزمن وتتعقد وتصبح مصدراً لسواها من المشكلات ..

وقد فاتت شمعون ذاته فرصة تبديل الوضع اللبناني على الشكل الذي يتوجب ، يوم حمله اجماع الشعب والمجلس إلى كرسي القيادة الاولى في الدولة .. او بالحري فاته ان يتلفت إلى عناصر التطور في المجتمع اللبناني وان يوا كبها برعايـة ودفع من القوانـين والمؤسسات ، وان ينميها و يوصلهـا إلى

خواتيمها وإلى تحقيق اهدافهـا الاخيرة .. وقد انتهى الرجل بالمخاتير والنواطير ، وتعيين الموظفين وترقيتهم على الطريقـة العثمانية الاقطاعية القديمة .. وعبثاً كنا نمسك بهذا الوجدان المتحجر لنقذفه ببصيرته تطلعـاً نحو قمم الصيرورة والوجود .. ولكنه كان لا يبصر « اكثر من مدى انفه » ، ويأبى الا ان يعيش في الحُفَر .. والرجل لم يكن في الواقـع رجل دولة ، بل سياسياً صغيراً « متسوساً » (اي ممتهناً للسياسة) ، كأنه « مختار » اكبر في الدولة او رئيس اعلى « لمخاتير القرى والاحياء » ...

وكانت سياسة شمعون الداخلية عكس ذلك تماماً .. فكان يبدو جلياً ، للمطلع عليها والذي يحاول تحليلها ، انها تهدف ، روحاً وواقعاً ، إلى هدم « الميثاق الوطني اللبناني » ذاته !.. فهو لم يذكر مرة واحدة في خطبه كلمة الميثاق ، (اي الرباط الوطني) بينما كان يتغنى به دائماً قبيل رآسته ...

ثم اخذ عهد ويسعى إلى اضعاف « الرؤوس الكبيرة » او القضاء عليها ، إلى اي طائفة انتسبت .. ولكن حيث انـه ليس للمسيحيين في الواقع زعامات بالمعنى الصحيح الزمني ، سوى مركز البطريركية المارونية المعنوي ، فانه وجـه

ضرباته للزعماء المحمديين ، وللحركات السياسية التطورية التي تهدد كيان واوضاع دولة المخاتير ..

وكان لنا الحظ الاول طبعاً .. كعادتنا والحمد لله - في تلقي اولى الصدمات ، خاصة بعد ان لمس قوة الحزب التقدمي الاشتراكي في مهرجان المنارة الشهير الضخم الذي ضم ، عقب الانقلاب فوراً ، ما يقرب من مايـة الف رجل من جميع مناطق لبنان .. وهو اضخم اجتماع حصل في لبنـان حتى اليوم .. فكان ان استعان علينا ببعض زعماء السنة والشيعة الأقوياء ، بعد ان هيج وسمم الرأي العام المسيحي الانعزالي وخاصة الماروني بدعاياته الطائفية وبدعوته المعلنة لمقاومة كمال جنبلاط والحزب الاشتراكي بوصفهما « خطراً مداهماً » على الكيان اللبناني وعلى كيـان المسيحيين في لبنان وعلى نفوذهم السياسي ، وسواها من الادعاآت . وقد ذهبت الحماقة بشمعون وباعوانه المبـاشرين ، الى شن حملة صليبية حقيقية علينا كان عنوانها - ويكاد العاقل لا يصدق ذلك - دعوة اخواننا المسيحيين إلى « التحرر » من الزعامات المحمدية وإلى استثارتهم على اخذ ثأرهم من الدروز بعد مرور قرن على الحوادث المؤسفة المعروفة . واخذ شمعون و بواسطة السلطة

يحاول تنمية وتقوية زعامة بعض ارباب حاشيته وبعض اعوان من المحاسيب العاديين في المناطق المختلطة من حيث المعتقدات الدينية .. وكانت تتم هذه التنمية لزعامة اقل الرجال شأناً واكثرهم تفاهة ، ممن كانوا لا يحلمون برآسة بلدية قريتهم ، بوسائل مصطنعة : الدعاية الطائفيـة المنظمة ورشوة الوظائف والمال والنفوذ ، ثم توزيع الأسلحة فيما بعد .. وجاء شمعون الى الحكم بمجيد ارسلان « الجاهز » على الدوام لموالاة أي عهد وللخضوع لأي سيد ، والذي هو على اهبة دائمة لاملاء المركز الشاغر في اية وزارة كانت ، واستمال سائر الزعماء المسيحيين والدروز اليــه ، بالاضافة الى اغلبية زعماء الشيعة والسنـة ، بحيث تكتلت في وجهنا اكثر القوى السياسيـة اللبنانية ..

ثم تحول شمعون الى محاربة احمد الاسعد وصبري حمادة وجاء بعادل عسيران الى سدة الرئاسة الثانية في الدولة..واستند الى الكتلة الوطنية والكتائب في محاولاته تجميد بشارة الخوري والكتلة الدستورية ومقاومة نفوذها ، على ان لا تتجاوز طبعاً الكتلة الوطنية الحد المقرر لها من نمو القوة السياسيـة ، والا لكان انقلب عليها واستعان بغيرها عليها لاضعافها .. وهكذا

كان شأنه مع الزعماء المسيحيين والمحمديين على السواء ..
فلكل منهم «فلك» من النفوذ المحدود المقرر له ان يدور فيه ..
وبينما كان شمعون يستند الى الكتلة الوطنية في بادىء عهده ،
كان ايضاً يغازل بعض أعضاء الكتلة الدستورية محاولا جذبهم
اليه ، تمهيداً للمستقبل ولتهديد الكتلة الوطنية بهم على قاعدة
«لكل قرد جنزير» ... وشرط التعاون مع الزعماء المسيحيين ان
يخضعوا الى توجيهاته واوامره وان يستسلموا ايضاً « الزعامة
الفكرية » والعملية التافهة التي كان يمثلها اعوان شمعون
المباشرين ومحاسيبه المقدمون .. وكانت عملية التوازن والميزان
تتناول بشكل ادق واكثر فعالية زعماء السنة المرشحين لكرسي
رآسة الوزارة .. فكان يأتي بكل منهم في دوره ويدعمه ضد
الآخرين ، وضد خصمه بما للسلطة والادارة من نفوذ، ثم يأتي
بسواه او بخصمه في عملية « طالعة نازلة » كلعبة لوح الخشب
الذي يمارسها الاولاد ..

وكانت سياسة شمعون تقوم على مقومين اساسيين :

١ — اثارة وتغذية روح الطائفية في الأوساط المسيحية
الى اقصى امكانات ذلك .. واستخدام رجال الدين الذين
يسهل تضليلهم واثارة طموحهم للزعامة السياسة لاجل هذه

الغاية .. وسياسة التضليل والتغرير الطائفي هذه كانت تقترن طبعاً بتوزيع المنافع الخاصة ورشوة الوظيفة والنفوذ والمال .. واذا كان بدا له انعدام جدوى استخدام التضليل والاغراء ، كان شمعون يجمح الى سياسة ضرب الناس بعضهم ببعض ودفعهم للاشتباك والاقتتال كما حصل في مجزرة العاقورة وزغرتا ومزيارة ..

٢ — استخدام سياسة التجزئة والانقسام والمناقضة بين العناصر المحمدية ، هذه السياسة المقرونة ايضاً برشوة الوظيفة والنفوذ والمال ..

وقد بلغ استغلال شمعون للطائفية مبلغاً من نفوس الجماهير المسيحية شعر هو من جراء نجاحه بالقوة الى درجة انه اضحى في آخر عهده يعتبر نفسه «حامي النصارى» في لبنان وان رجال الاكليروس موظفون عنده لا اكثر ، في خدمة اشاعة هذه الدعاية المقيتة واذكاء روح هذا التعصب .. وما عاد يقيم لرجال الدين وزناً .. وقد شكى لنا اسقف جليل من معاملة شمعون السيئة للاساقفة ورجال الدين في حضرته ..

وكان شمعون فعلاً «عبقرياً» في هذا النوع من فنون تفرقة الناس والدس بينهم ومعاكستهم بعضهم لبعض وجذبهم

بما هو احط ما فيهم من افكار وعواطف ونزعات .. كان له هذه العبقرية «الغريزية» ــ الحيوانية اذا نظرنا اليها من وجهة التطور البشري ــ التي تتلاقى وتتجاوب مع غرائز الآخرين وتثيرها .. فرفقة الرجل والتعاون معه لا ترفع بك بك بل تنسفل بك الى حيث هو ربما ادرى منك ..

ولم يقف همّ شمعون على الحقل السياسي ، بل تعداه الى الحقل الديني ذاته .. فأثار الموارنة على بطريركهم بعد ان حاول تنصيب اسقفاً من الموالين للعهد بطريركاً للمشرق ، وفشل في محاولته التي كانت اوشكت ان تنجح لولا قلق الفاتيكان وتدخله السريع في الامر واقدامه على تعيين البطريرك الجديد .. ثم حاول تشجيع الموارنة على الخروج على سلطة قداسة البابا وامعن في تشجيع احد الأساقفة الغاضبين على معارضة البطريرك والتنكر لطاعته .. وكانت سياسة شمعون تزيد في عنفها ضد سيد بكركي ، كلما لمس منه بادرة سمحاء في حقل الوطنية والتوجيه السليم « المسيحي الحقيقي المنفتح الأصيل » .. وتوصلت عنجهية الرجل الى اصدار المناشير وتوزيعها من القصر الجمهوري ذاته في حملته المناوئة للبطريرك المعوشي والى اصدار الأمر بالتصدي لبعض الوفود

القادمة من دير القمر الى بكركي ومحاولة منعها من الوصول بالقوة ..

وبلغ التضليل الشمعوني الطائفي حداً مضحكاً ومفجعاً في آن واحد .. فقد صدف لصديقنا الدكتور الياس البعقليني — على ما روي لنا — ان اقترب من المذبح ليتناول القربان المقدس في بيروت ـ وهو مؤمن ورع ـ فلاحظت ذلك احدى السيدات المسيحيات بدهشة بالغة وقالت: «كيف يجوز ذلك، فهو معارض ومن انصار البطريرك في بيروت...»

وحيث ما لمس شمعون معارضة لسياسته تدخل .. وهكذا كان بالنسبة لاخواننا الأرمن ، فقد انشطرت الطائفة الكريمة بفضل تدخلاته في انتخاب الكاثوليكوس الى شطرين متناحرين ، لا يقر فريق كبير منهم بسلطة الرأس الديني الجديد المنتخب ... وكان حظ اخواننا الدروز وافراً ايضاً في التعرض الى شعائرهم الدينية وفي تحقيق سياسة تفرقة وانقسام عميقة الأثر في اوساط «العقال» والزمنيين الدروز ، نتيجة لتدخل شمعون لفرض «شيخ عقل» معين وتأييده على سواه .. وتعطلت المحاكم المذهبية الدرزية من جراء ذلك ولا تزال ..

وكانت دلائل هذه السياسة الرعناء لا تخفى على احد ، لأن شمعون ذاته واعوانه كانوا يعلنونها على الملاء ، اذ يقولون لاتباعهم في غلاظة الوقاحة الساذجة : « ان المحمديين قد حكموكم ثلثماية سنة، وانني «سأحكمكم» برقابهم بعد الآن.. افلا ترضون بذلك ؟..

وجنحت بشمعون هذه السياسة الطائفية إلى تأييد قيام وطن قومي مسيحي في لبنان والى تصغير لبنان وتقسيمه على شاكلة اسرائيل .. ولعل هذا كان ولا يزال من اهداف بعض السياسات الأجنبية المعروفة .. وكان يخطط مشروعه هذا ويسعى لتحقيقه بعد ان لمس فشل سياسة التحكم والاستئثار : «يكون جبل لبنان مستقلاً بحماية دولة كبرى اجنبية، تستأجر لها قاعدة عسكرية ضخمة في بعض انحائه بيضع عشرات الملايين من الدولارات مما يكفي لاملاء صندوق ميزانية هذه الدويلة.. وتكون بيروت مدينة حرة مفتوحة .. اما سائر الأقاليم فلتلحق بسوريا ..»

ولما بدأت قوى الثوار في الشوف تندفع في اتجاه بيروت بعد ان احتلت بعض القرى القريبة من العاصمة ، قبيل «زيارة» الاسطول السادس الاميركي وانزاله لجيوش الاحتلال

باسبوع ، كان شمعون على ما علمنا بصورة اكيدة ، يفكر باخلاء بيروت وبالانتقال الى مدينة جبيل في الشمال لطلب المعونة الأجنبية العسكرية تحقيقاً لهذا التخطيط والتقسيم لكيان ودولة لبنان . .

وسط هذا الجو المشحون بمختلف الانقسامات والاحقاد والعصبيات والمشاحنات ، وهـذا القلق المصطنع الذي كان شمعون يحاول تنميته في نفوس الكثرة من المسيحيين دون ان يلقي مقاومة فعلية ايجابية من الزعماء الوطنيين المسيحيين او حتى من رجال الاكليروس اذا استثنينا البطريرك وبعض الأباء ونفر قليل من الاساقفة ، وسط هذا الجو المنذر بالعاصفة وبالاشتباك وبالدفاع عن حق الحياة والبقاء والمصير ، اعلنت افواج الأثير نبأ الوحدة المصرية - السورية وقيام الجمهورية العربية المتحدة . . قامت طبعاً المظاهرات ومهرجانات الاغتباط لهذا الفريق من الوطنيين في العواصم وفي الارياف . . وطبعاً تمثل الفريق الآخر في هذه المظاهر والأفراح شبح الوحدة يلفهم ويضم لبنان ، وتصوروا ، على خطأ او على صواب ، ان هذه الاعلانات للابتهاج ما كانت لتصدر بهذا العنف لولا النكاية بهم ولولا النيات المبيتة . . . وحاول شمعون

استغلال الحدث باشاعة دعايات القلق في الاوساط المسيحية وفي البلاد ، ليظهر نفسه بمظهر « سيف النصارى » والمدافع الاوحد عن الكيان اللبناني الضامن لبقاء المسيحيين مستقلين في اساليب حياتهم ونهج شعائرهم ، ولكي يدعموه ، في مقابل ذلك ، لاجل، تمديد البقاء وتجديد الرآسة لا اكثر ...

وهكذا تقوّي بين فئة من اخواننا اللبنانيين نوع من المرض النفساني اللاعقلاني ، المندفع مع تخيّلات العاطفة والتواآت التفكير : شعور بالغربة في بـــلاد هي وطنهم ولكنها توشك ان لا تعود ولا تكون كذلك في المقبل القريب .. تقوية شعور اللاجيء واللجوء السياسي الذي لا تزال رواسب حوادث منتصف الجيل السابق الطائفية تذكيها في النفوس، بالرغم من ان احد الأسباب الرئيسية لهذه الفتنة ولدت من طموح بعض الأساقفة ورجال الدين المسيحيين انفسهم بأن يتزعموا سياسياً وزمنيـــاً وان يسيطروا بالقضاء على الأقطاعيين والزعماء الزمنيين كافة ...(1)

---

١ ـ راجع المراجع التاريخية اللبنانية والاجنبية في ذلك .. وخاصة جورج انطونيوس والكولونيل تشرشل وجويلان الخ ..

وكان يقول لي الدكتور اسد رستم ونحن نزور برفقته دير عين سعاده : « هنا في هذه الغرفة كتفق المطران طوبيا وقنصل فرنسا على

وفكرة اللجوء السياسي لا تبرر وجود الوطن .. ولا تقوم دولة او ينشأ و يدوم وطن على فكرة الالتجاء . اللاجيء لا يدافع عن بلاده ، ولا يؤمن بها ..

وكان لهذه الفرقة البعيدة الأثر في المجتمع اللبناني ، وهذا الامعان «المريض» لشمعون واعوانه في نشر العصبية الطائفية واثارة القلق وفي اضطهاد المحمديين وزعمائهم ، اثر وسهم في اندلاع الثورة اللبنانية التي حاول شمعون ان يحولها الى فتنة طائفية فلم ينجح ..

فارتدت المعركة طابع المحافظة على عروبة لبنان ، وعلى لبنانيته الاصيلة ، على الشعور الوطني بكل ما للكلمة من دلالة . تمهيداً لأعادة التعاون ور بما على اسس جديدة مع العالم العربي وخاصة مع الجمهورية العربية المتحدة ـ نواة الوحدة العربية ـ هذه العروبة التي بدونها لا يستطيع لبنان ان يعيش، كمن يفصل نفسه عن ينبوع التغذية في حضن امه ، هذه العروبة التي اول ما نطق بها وكافح لاجلها اللبنانيون في صراعهم عبر العصور الحديثة لاجل الاستقلال والنهضة والحرية ..

تدبير فتنة الستين ..!»

وكان النفوذ البريطاني من جهة اخرى يتعلق بلبنان كجزء من سوريه الطبيعية بوصف هذه الجبال مركزاً استراتيجياً بالغ الاهمية على « طريق الهند » الشهيرة .



٥

تخلّف التطوّر اللبناني
أو من «لفّة» الشيخ
إلى «طابية» الخوري




للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

اوضحنا فيما سبق بعض وجوه الازمة التي تطورت في إلى ثورة دامية ، وهي مرتبطة بعضها ببعض ومتشابكة ، بحيث تتأثر وتتفاعل سوية في مجرى نموها وفي حلقات مقدماتها ونتائجها المتتابعة ..

ويجب ان نعود ببعض هذه الاسباب إلى جذورها القديمة في التاريخ اللبناني الحديث ، لكي ندرك حقيقة هذا التأزم الذي لازم الوضع اللبناني منذ بزوغ عهد الاستقلال والذي ادى إلى انقلابين متتابعين في غضون سبع سنوات. هذا طبعاً اذا استثنينا الحركة الاستقلالية سنة ١٩٤٣ التي ساهمت النقمة الداخلية الشعبية في بلورتها وانطلاقها ..

فاحدى اسباب الثورة الاخيرة الرئيسية يجب ان نفتش عنها في مناهضة تيار التقدم اللبناني وعدم تمكينه من بلوغ اهدافه الكبرى الاخيرة ، تارة باسم الطائفية السياسية وطوراً باسم المصالح الرجعية والانتهازية على تنوعها .. وقد دخل لبنان في مرحلة نمو الدولة الحديثة وصيرورتها منذ ماية سنة واكثر تقريباً ، اي لما توفرت له بعض العناصر والمرتكزات الاقتصادية والتقنية والاجتماعية والثقافية البدائية الاولى التي تجذب البلاد المتخلفة من نطاق جمودها القروسطي ، وتحركها

وتدفعها في تيـار التبدل والتطور .. ومن هـذه العناصر والمرتكزات :

١ ـ انشاء معامل الصناعة الصغيرة وخاصة صناعة الحرير « حلّ الشرانق » وانتاج الخيوط ونسجها .. ونلاحظ ان الحركة الوطنية انما ظهرت في الحقبة ذاتها التي بدأت فيها عجلات هذه الآلات الصغيرة يتزايد عددها في لبنان : وقد تأسس اول معمل للغزل سنة ١٨٤٠ ..

٢ ـ كان لتأسيس مرفأ بيروت وربط العاصمة اللبنانية بدمشق بواسطة خط حديـدي سنة ١٨٩٥ أثر في تنمية التجارة وفي اطـلاق عناصر التطور من عقاله ؛ وكانت بيروت ، في بدايـة القرن الثامن عشر ـ هـذه الاسكلة الصغيرة على حـد التعبير المعهود ـ لا يتجاوز عدد سكانها التسعة آلاف نسمة . . والتجارة والصناعـة تلدان هذه الطبقـة من البرجوازية المالية والوجاهات الوسطى التي تؤلف الفئات الاجتماعيـة التي تساهم في انشاء الدولة الحديثة ..

٣ ـ تأسيس المدارس والمعاهد الاجنبية والوطنية ودور الطباعة والصحف والمجلات الخ . وقد اسهمت جميعها في نشر

للمعارف وتفتيح الضمائر والعقول المغلقة ..

٤ - تحقيق نظام بدائي لهيكل الادارة اللبنانية واشتراع الانظمة البلدية وتنفيذها وقد اعلنها نظام شكيب افندي سنة ١٩٤٥ ، هذه الانظمة البلدية التي لا يمكن بدونها للروح الديمقراطية ان تنمو وان تسيطر في بلد ما ..

٥ - النضال التحرري لفئات الفلاحين والمرابعين ، الرامي الى التخلص من سيطرة الاقطاعيين الاقتصادية والسياسية ، هذا النضال الذي استقر منذ حوالي سنة ١٨٤٠ حتى سنة ١٨٦٠ ، وتحول الى حروب اجتماعية فلاحية حقيقية على طريقة الـ Jacquerie الافرنسية : على انه ما ابث ، ويا للأسف ، ان انقلب إلى حد كبير إلى حروب طائفية نتيجة استغلال رجال الدين المسيحيين لها وخاصة الاكليروس الماروني الطامح للزعامة السياسية وتدخل فرنسا وبريطانيا والسلطة العثمانية آنذاك في بعث الفتنة واذكاء التفرقة والتباعد .. وفقوا الى حد كبير ، لان هنالك مسيحيين بوصفهم ايضاً ملاكين كباراً ناضلوا في الجبهة المناوئة للحركة الفلاحية ..

٦ - الغاء نظام اقطاع الاراضي سنة ١٨٦٤ ، وما نجم عن ذلك من تعميم الملكية الوسطى والصغيرة ، وقد تم

تسجيل ممتلكات الاقطاعيين باسم المرابعين والفلاحين بعد ان رفض هؤلاء دفع «بدل التطويب» للدولة العثمانية، فخسروا معظم ممتلكاتهم ...

كانت جميع هذه العناصر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والادارية تشكل البذور الاساسية والمحرك الداخلي لتطوير اوضاع لبنان من النظام الاقطاعي المسيطر إلى نظام الدولة الحديثة والحكم المدني المتحرر من كل طائفية سياسية ..

ولكن تحول حروب التحرير هذه من نضالات سياسية اجتماعية إلى حروب للسيطرة الطائفية على مقدرات البلاد وعلى وسائل الانتاج، حالت دون تحقيق اهداف هذه الثورة بشكل مباشر، لان الفريق المالك لوسائل الانتاج هو الذي انتصر .. ولولا تدخل الدول الكبرى السبع وتدخل تركيا الفعلي، لما استقرت الحال على ما هي عليه اليوم، ولكان الفريق المنتصر عسكرياً آنذاك، اكمل تعزيز قواعده السياسية والاجتماعية على ضوء مصالحه في السيطرة الاقتصادية وفي الحكم .. على ان الانطلاقة الثانية المحتومة للنضال الشعبي، او التطور العام نحو الديموقراطية

كانت اكتسبت فيما بعد قاعدة شعبية اوسع وصفة، مشتركة اعم بين المسيحيين والدروز والمسلمين بشكل عام، وربما كانت ربما هذه القاعدة مكنت التطور اللبناني من بلوغ اهدافه في تغلب الشعور الديموقراطي والمصلحة الاقتصادية للفئات الاجتماعية العاملة على المصلحة الطائفية وعلى الشعور الطائفي..
على ان التاريخ هو ما يحصل وليس ما يفترض .. وما هذا الافتراض الا لتعليل ما كان يمكن ان يحدث لو لم يكرس نظام ١٨٦٤، الموضوع فيما بعد، الانشطار الطائفي وفي قانون الدولة الاساسي، وفي روحية ونهج السياسة اللبنانية .. ومن اغرب الصدف التاريخية ان شعار مرحلة التهدئة آنذاك كان: «مضى ما مضى»، في مقابل «لا غالب ولا مغلوب» اليوم..

والذي حدث هو هذا :

ان البلاد عاشت قبل الحوادث المشؤومة مدة ثلثماية إلى اربعماية سنة في ظل نوع من الاستقلال والحكم الذاتي، في حياة سياسية مشتركة ليس فيها تمييز طائفي، ولا شعور طائفي، بالرغم من ان امراء جبل لبنان كانوا جميعهم من المحمديين ومن الدروز، فيما عدا البعض منهم، الذين يشتبه في انتسابه

إلى المذهب السني نظراً لما بين الدرزية والسنية المحمدية من صلة وثيقة وانتساب اصيل .. ولم يعرف عن تنصر الامير بشير الثاني ذاته الا في اخر ايامه ولم يجرأ هو على اعلان ذلك .. ولم تتعرف البلاد في عهد امراء « جبل الدروز » هؤلاء كما كانت تسمية جبل لبنان آنذاك في الواقع وفي مراسيم اختيار الامراء [1] ، لم يتعرف لبنان اطلاقاً على النزعات الطائفية والحركات المذهبية، وكان ينعم فيه الجميع بما فيهم المسيحيون بالحرية الكاملة في ممارسة شعائر معتقداتهم ، كما كانت الحقوق الاجتماعية والسياسية مشتركة .. فكانت الحزبيات تشمل جميع فئات المواطنين فينضوي الجميع في « القيسيّة » « واليمنيّة » على اختلاف الوانهم ومذاهبهم ، ثم تأتي « الجنبلاطية واليزبكية » فيعتنقها ويناضل لاجلها الزعماء المسيحيون والمحمديون في صفوف واحدة متراصة وبالتعلق والاندفاع ذاته .. وكانوا يحاربون سوية وقد امتزجت واقعاً وفعلاً دماؤهم الزكية بتربة لبنان ..

ولا تزال قاعدة هذا التحزب الجنبلاطي واليزبكي تفعل حتى ايامنا هذه في ذهنية الكثرة الغالبة من المسيحيين وسواهم

---

١ - الامراء التنوخيين وآل علم الدين والمعنيين والشهابيين والمعبين.

من ابناء الجبل وبعض الاقاليم اللبنانية الاخرى ، وتحركهم إلى اغراضهم ، وتشكل اساساً لتقرير وجهة اقتراعهم .. ولم يكن للبنانيين ما لفريق كبير من اخواننا اليوم ، ونعني هذا المركب من الضعف ومن الخوف .. بل كانت الفكرة اللبنانية قوية ثابتة توسعيّة ، فيها كل مقوّمات الوجود والانطلاق ، « فاتحة » بكل ما للكلمة من دلالة وواقع .. وكان «جيش» لبنان الموحد يتوجه ، بين الفينة والفينة ، يهاجم ويدافع ، ويقتطع هذا او ذاك الجزء من الولايات العثمانية المجاورة .. وما كان لبنان ليغيب عن قضية استقلال ونضال تحرر وثورة ..

وقد اجتمع المسيحيون والمحمديون في جبل لبنان وتألبوا في صفوف موحّدة لمحاربة الاحتلال المصري ولمناوأة حليفه في الحكم في لبنان الامير بشير الثاني في آخر عهده ، وللتخلص في الواقع من الفقر الاقتصادي والخراب والبطالة والتعاسة المدقعة التي عانتها البلاد من جراء الضرائب الفادحة والفرائض التي لا تطاق والتي كان يطالب بها باستمرار ابراهيم باشا حليف الامير بشير ويلح في تحقيقها .. وكانت ، فيما قبل ، وفي بداية عهد الامير الكبير ، هذه الجماهير اللبنانية

ذاتها قد التفت حول الامير بشير وساندته في المحاولة التي قام بها على غرار الامير فخر الدين المعني لتأسيس دولة لبنانية في حدودها الطبيعية الحالية ، مستقلة عن السلطنة العثمانية .. وكانت محاولته هذه تتجاوب عبر العصور مع الحركة الاستقلالية العربية . . وهكذا كانت ثورة ١٨٤٠ وطنية شاملة بما لهذه الكلمة من دلالة وقوة .. وقد عقد الثوار مؤتمرات وطنية كبرى في دير القمر وفي انطلياس انبثق عنها مجلس عام لقيادة العمليات مؤلفاً من اثني عشر عضواً يضم المحمديين والمسيحيين على السواء في رفقة ما يقرب من اجماع المواطنين .

كان هذا واقع لبنان قبل ان تبرز في الحقيقة فكرة الاقليات الى الوجود ، وخاصة - ويجب ان نقول الاشياء كما هي - قبل ان تظهر وتقوى فكرة الوطن القومي المسيحي .. وقد حرّك هذه الفكرة طبعاً ، انشطار البلاد في بداية الحركات التحررية الاجتماعية الى شركاء ومرابعين معظمهم من المسيحيين من جهة ، وملاكين واقطاعيين معظمهم من المحمديين من جهة اخرى ... على انه كان ولا شك للارساليات الاجنبية وللدول الاجنبية ، دور في ايقاظ وتنمية ورعاية هذه

الفكرة ، كما وكان لطموح رجال الدين السياسي يد في ذلك .. لاننا نلاحظ ان هذه الفكرة لم تظهر في المجال السياسي اللبناني الا في الوقت ذاته التي كانت تغزو فيه حضارة الغرب بواسطة مدارسها وارسالياتها الارض اللبنانية..

ومصيبة هذه الدنيا ومصيبتنا ، نحن هنا ايضاً في لبنان ، لا تزال : ان رجال الدين – الى اي مذهب انتسبوا – هم على صنفين : صنف يفصل بين دينه ودنياه ، فلعلاقاته بربه سنة وقاعدة ، ولعلاقاته باخوانه (في السياسة وفي الاقتصاد وفي الاجتماع) سنة وقاعدة اخرى .. فهو يكيل بمكيالين ويقيس بمقياسين : قياس الدين والضمير وقياس الدنيا .. وهذا الصنف من الرجال لا يعيش وجودية الدين ، وجودية الحياة – وجودية الله – على حقيقتها . وصنف آخر يخلط ويوحد خطأ بين الدنيا و بين الآخرة ، فينسى دينه او بالحري يسخر دينه لاجل دنياه ، فتصبح بالنسبة اليه ، اهداف هذه الدنيا في النفوذ ، في البهرجة ، في ربح المال ، في العطاء مقابل الشهرة ، في امتلاك « الحطام الضخمة» الفانية الخ .. تصبح هذه الأهداف – وكلها تعلق ورغبة – غايات تدينه ومحور صلاته وإمام محرابه وقبلة توقه وحنينه في

الوجود .. وحاشا لهذا الحنين ، لهذا الشوق العظيم للعقل الرفيع فينا ، الذي هو امتداد طبيعتنا الحقيقية الالهية ، ان يتحول الى هذه التفاهة والتعامي في طلب المتنوع المنفلت المنفرج عن محور الذات الأصيلة ، ولا ينحصر ويتحدد في طلب الواحد الذي به تؤلف جميع الأعداد . . وهنالك فئة فئة ثالثة — والحمد لله — على انها قلة ، هي «ملح الأرض» الحقيقي : هم «أبناء الله» في هذا الوجود يتمجد على الدوام في انعكاسه الأزلي فيهم .. هم المرآة التي تعكس شيئاً من نور الشمس عندما تعجز بصائرنا ان تتطلع الى الشمس مباشرة وعيناً لعين ..

ولم ينقلب امر هذا التفاهم والتعاضد الوطني الذي اشرنا اليه الا فيما بعد و بفعل الأسباب العميقة البعيدة لتطور المجتمع اللبناني التي اوضحناها ، ولسبب مهم اساسي آخر : هو اختلال التوازن في جبل لبنان [1] بعد اضطرار فريق كبير

---

(١) كانت اقسام وقرى كثيرة من المتن الحالي يقطنها الدروز .. وكانت دير القمر وبيت الدين وبكفيا ذاتها وبعض قرى كسروان ايضاً درزية .. وكانت فيما قبل جونية قصبة كسروان يقطنها سنيون مسلمون واشتهرت ببعض فقهائها وائمتها .. وكان الشيعة يسيطرون على اجزاء واسعة جداً من جرود كسروان وبلاد جبيل والزاوية في

من الدروز الى اخلاء قراهم وممتلكاتهم واللجوء الى « جبل الدروز» الآخر في سوريا ، اثر حروبهم مع ابراهيم باشا وحملات الأمير بشير في آخر عهده عليهم ، يحاول فيهـا الاستعانة بالمسيحيين، ايام كان المسيحيون لا يزالون يؤيدون ، ومن وراءهم فرنسا ، محمد علي وفتوحاته في سوريا ، وذلك لمناهضة ثورة الدروز على الغـزو المصري في الأقاليم السورية التي كانوا يقطنونها ..

هذا الأختلال بتوازن السكان في الجبل ، وسياسة الأمير بشير في آخر عهده ، الرامية الى احلال سيطرة النفوذ الطائفي الماروني ، زد على ذلك تكاثر السكان المسيحيين في جبل لبنان لأسباب غير التي أوردناها تتعلق بالتبشير ، وخاصـة بالسياسة التي كان يتبعها الملاكون الزراعيون الدروز ، والسنة والشيعة العاكفين على السياسة والوجاهة والتحزبات والحروب . في استجلاب الفلاحين المسيحيين وتوطينهم بشكل مستمر ، في القسم الجنوبي من جبل لبنان ، كل هذه الأوضاع ، اذا ما

الشمال ، واقليم جزين في الجنوب .. وكانت جزين بلدة شيعيـة في سابق الزمن .. ولا تزال بقايا ورواسب هذه الطوائف تقطن هذه المناطق او تمتلك فيها بعض الاراضي الزراعية

اضفنا اليها عناصر التطور الأقتصادي والاجتماعي والثقافي التي بدأت تفعل في صميم المجتمع اللبناني والتي اخذ هذا الشاطئ يتلقفها من خلال اتصاله بحضارة الغرب وبمبادئ الديموقراطية السياسية التي كانت تهيمن على الغرب ، والتي فعلت في صفوف المسيحيين المقبلين على الأنتاج الحرفي والصناعي وعلى التثقف اكثر من فعلها في اوساط المحمديين «الـكسالى» المتلهين بغير ذلك من مقومات وجاهة الحياة وبهرجة النفوذ، الأمر الذي ادى الى تغلغل فكرة التحرر الاجتماعية في صفوف المسيحيين اكثر منها بكثير في صفوف الدروز وسائر المحمديين، كل هذه الألتباسات والظروف والعديد وسواها مما يضيق المجال لمعالجته، جعلت اولى ثورات لبنان الحديث الديموقراطية لاحلال مبدأ الشورى والكثرة مكان مبدأ سلطة القوة الأقطاعية، تنحرف ،منذ ان ولدت عن النهج الوطني السليم..

ومما زاد «الطين بلة» ان معظم المسيحيين كانوا مرابعين (شركاء) لا يملكون ،والكثرة الساحقة من الدروز والمحمديين هم الأقطاعيون ، وقد اشركوا معهم عائلات وسطى وصغرى عديدة في امتلاك القرى والأقاليم الواسعة . مما كان يشكل رادعاً لاشتراكهم في الثورة الاجتماعية واضفى على هذه الحركة

منذ بدايتها ، لوناً طائفياً معيناً ..

ولعب الانتظام والتنظيم الاجتماعي الدرزي والتضامن القوي المنبثق من هذه « الجماعة الدرزية » المرتكزة الى شتى تقاليد الحياة وسننها الصاهرة الموحدة (le monolithisme druse) دورها في منع التفسخ في صفوف هذه الطائفة وفق تناقض المصالح الاقتصادية .

وكان رجال الدين النصارى ، وخاصة الموارنة منهم ، ينزعون في طموحهم السياسي — وبما لهم من الاوقاف والممتلكات العقارية الشاسعة ما يدفعهم إلى الطموح وما يمكنهم من تحقيق ذلك — الى الحلول مكان الزعامات المسيحية والمحمدية الزمنية .. فسعوا إلى الافادة ما استطاعوا من حالة الفقر واستنزاف الموارد ، والتذمر من ضخامة عبء الضرائب والفرائض .. فاندلعت ثورة الفلاحين في شمالي لبنان سنة ١٨٥٧ ضد الاقطاعيين المسيحيين بتحريض رجال الدين هؤلاء ، ثم انتشرت العدوى الى كسروان حيث قام الفلاحون المسيحيون بطرد آل الخازن من ممتلكاتهم .. ثم انتشرت الحركات الاجتماعية في المتن والشوف واقليم التفاح وجزين والبقاع وسواها من المناطق .. وكانت الدول

الاجنبية وخاصة فرنسا وبريطانيا وتركيا في منازعتها على النفوذ وعلى السيطرة وفي تحريضها المشترك ومدها الفريقين بالسلاح وبالمال، العامل الاساسي الاخير الذي حوّل الثورة اللبنانية الاجتماعية الى نضال تهديمي طائفي سخيف ..[1].

على ان المهم فيما نعنيه هنا في هذا البحث، هو ان انطفاء جذوة الحركات المؤسفة، بعد تدخل الدول المباشرة واستقرار الأمن، ووضع نظام ١٨٦٤، واعلان إبطال الأقطاع السياسي، وتوزع الملكية الزراعية، لم يعد بالحركة الأجتماعية اللبنانية الى حقيقة اتجاهاتها الديموقراطية .. فقد تكرست الطائفية السياسية في نظام ١٨٦٤ .. وظل تخطيط الزعماء السياسيين ورجال الدين على ما هو عليه، يتسابقون

---

١ ـ يجهل الكثيرون حتى الساعة الدور الذي لعبه الافرنسيون في في اثارة الفتنة الطائفية .. وهنالك رواية لا تزال تتردد في بلدتي الفريديس والباروك .. وقد سمعناها شخصياً من الشيخ عارف ابو علوان، وكان لجدته نسب اصيل بالشيخ خطار العماد الذي كان (سيف الدروز) في تلك الفتنة المشؤومة .. وسمعتها واكدها لي ايضاً خليل افندي عطيه : من ان خوري الفريديس آنذاك كان صلة الوصل بين قنصلية فرنسا في بيروت والزعماء الدروز المحرضين على الحرب الطائفية؛ دفاعاً عن النفس، وكان هو يحضر المساعدات الماليه اليهم من القنصلية المذكورة .. ولحق بهم مراراً الى حوران .. وكان يتزيا بزي شيخ درزي . وسننشر هذه الوثيقة يوماً من الايام ..

النفوذ الطائفي ، هذا باسم الموارنة وهـذا باسم الدروز وذاك باسم الشيعة والسنة ، كل يتعلق بأهداب سياسة طائفته يبغي الزيادة في تقوية سيطرتها السياسية والأقتصادية .. وكان هذا المخطط واضحاً متبعاً ، في مثابرة عجيبة ، لدى الفريق المسيحي اكثر منه لدى الفريق المحمدي ، ربما للجهل النسبي المسيطر على هذا الفريق الأخير . .

وظلت الأزمة اللبنانية قائمة «معلقة» هكذا حتى ايامنا هذه .. ولم يكن نظام ١٨٦٤ في الواقع الا هدنة لا اكثر ، في التطاحن والصراع لتحقيق السيطرة الاقتصادية والسياسية على مقود السلطة وعلى مرافق البلاد ..

ولم تتوفق فيما بعد ، الحركات الوطنية والانتفاضات العربية والسياسية التي وقعت منذ ١٨٦٤ حتى ١٩١٩ في البلاد ، الى توحيد النشاط السياسي والاجتماعي اللبناني وتوجيهه وصهره في البوتقة الوطنية المدنية الصرف ، بالرغم من الجهود المبذولة ومن معالم الديموقراطية الأقتصادية التي بدأت تنمو وتتقوى وتسيطر (تعميم الملكيات الصغيرة ، وانتشار الرخاء المـادي وارتفاع مستوى المعيشة الناجم عن انتشار زراعة التوت والتبغ ، وعن الهجرة اللبنانية الواسعة التي بدأت منذ الحقبة الأولى من

القرن الثامن عشر وتقوّت كثيراً فيما بعد نتيجة حـــروب منتصف الجيل واحـداثه ، هذه الهجرة التي اخـذت تشكل مورداً ثابتاً يتدفق على الأرياف والمدن من المهاجرين اللبنانيين عبر البحار ، « و بعض القرى نصفهـا او ثلثاها في الهجرة » كما وان التثقيف العام ارتفع نسبياً في الأوساط المسيحية) ..

والأسباب الرئيسية لعدم تغلغل الروح المدنيّة العصرية في جمهور الشعب وفي الحكم تعود :

١ً ـ الى الذهنية الطائفية السائـدة التي كانت ولا تزال تغذّيها الأوضاع والحزبيات والظروف المحلية .

٢ً ـ الى تحول اكثر الزعامات الاقطاعية القديمة الى زعامات طائفية ، تسعى الى تمثيل الطائفة التي تنتسب اليهـا فحسب ، كما وان الزعامات الجديدة التي انبثقت وظهرت ، وخاصة في المنـاطق المسيحية ، حيث كانت تداعت اركان الزعامات « القديمة » استندت ايضاً إلى النهج الطائفـــي واستثارة الطائفية والغـيرة على مصالح الطائفة ، في محاولتها للظهور ولتركيز نفسهـا ـــ وكان لرجال الدين أثرهم البالغ في انماء هذا الشعور واذ كانه والمحافظة عليه في طموحهم للزعامة السياسية.

ورجل الدين — اذا تعاطى السياسة وكان له رزق ومال —

فيما عدا النادر الذي لا يعتد به — لا يمكن الا ان يستخدم الدين والعصبية المنبثقة عنه لاجل تركيز نفوذه الزمني ..

٣ — إلى ان الاحزاب السياسية الحديثة في تنظيمها وروحيتها المنعتقة من آثار الماضي لم تنتشر في البلاد ، بما كانت عليه ظروف الجهل والتأخر الاقتصادي وطغيان السلطة العثمانية ومحاربتها لبذور التفكير المتجدد ..

٤ — إلى ان الكليات والجامعات الاجنبية والمدارس والكليات الوطنية الخاصة — على السواء — كانت تساهم طبعاً في التقدم العام بنشر المعرفة وتعميم التثقيف ، ولكنها ، في الوقت نفسه كانت ولا تزال تستخدم العلم وسيلة — في ازدواجية باطنية مدروسة مقصودة — للمحافظة على هذه الروحية الطائفية وتقويتها ونشرها ، فيما عدا ربما الجامعة الاميركية كما تحولت اليه فيما بعد ، ومدارس اللاييك الفرنسية ، وبعض المدارس الوطنية القليلة ، حيث ارتقى مستوى التعليم إلى درجة اطلاق حرية التفكير في الامور الوطنية والمعتقدية ، والى اشاعة الشعور بالمسؤولية الشخصية والجماعية ، و بالتضامن ، و بضرورة تأسيس الدولة والمجتمع على اساس الكفاءة والنظام .

٥ – إلى انحصار التثقيف العالي – الى حد كبير – في الطوائف المسيحية دون سواها من الطوائف التي كان ولا يزال ينقصها و يعوزها الاقبال على التعليم والتخصص .. فكان مركب الجهل والضعف يسيطر على الفئات المحمدية ويجعلها تشعر بضرورة التضامن للمحافظة على نفسها مقابل جماعة اقدر منها علماً ونهضة واكثر تدرباً بشؤون الدولة والاقتصاد (من مهن وحرف وتجارة وصناعة) .. ومما كان يجعل الاوساط المحمدية ، وخاصة السنّية الاسلامية منها ، فريسة سهلة لسيطرة العصبية الطائفية الجامحة ، في محاولة الدفاع عن النفس .. وسينمو هذا الشعور ويقوى خاصة ابان الاحتلال الفرنسي وبعده في عهد الاستقلال .. والتعليم العالي المجاني والتعليم الثانوي المجاني كفيلان وحدهما باحداث هذه المساواة في المستوى الثقافي العام .. والمساواة في فرص الحياة وفي الكفاءة وفي الرقي والعمران والعلم تقوى وحدها على تحوير الذهنية العامة وعلى اقتلاع جذور الشعور الطائفي.. اكثرها خطراً على الاقل ..

٦ – إلى ان التخطيط المسيحي (الماروني) للسيطرة على وسائل الاقتصاد وعلى الاراضي الزراعية وعلى تثبيت سيطرة

هذه الطائفة على سواهـا من الطوائف ، كان ومـا زال هو ذاته ، لم يتغـير ولم يتبدل ، بل توضح وتعمّم مع الزمن ، اذا استثنينا طبعاً الفئات المتحررة من الكادحين والفلاحـين والمزارعين الذين اخـذوا يتوجهون اكثر فأكثر بمصالحهـم الاقتصادية ، كفئات اجتماعيـة تتعدى حدود الطائفة في تكوينها ، وفيما عدا المنفتحين وبعض المثقفـين الذين فعلت فيهم ذهنية الغرب وهضموا قيم هذه الحضارة او الذين اندفعوا في تيار الرابطة القومية والشعور الانساني البديهي الذي يتعدى حدود المعتقدات والاديان .

٧ ـ إلى ان نظام ١٨٦٤ الذي كرس الطائفية في الادارة وفي الدولة وفي تقسيم المنـاطق الادارية وفي وظائف الادارة والقضاء وفي مصالح الدولة العامـة ، حول المذاهب في لبنان إلى « احزاب » مذهبية سياسية .. فما عاد الزعماء والموظفون والوجهاء والمتنفذون يعملون الا لمصلحة ابناء طوائفهم بوصفهم يمثلون هذه الطوائف دون سواهـا .. وتوزع البشر الى « اجناس » مختلفة ، لا تشعر كما يتوجب بوحـدة الوطن ، بوحدة العيش ، بوحدة الصيرورة والمصير ، بوحدة ما هي عليه من بشرية انسانية اصيلة تتعدى الدين والمذهب ووجدت قبل

الدين وقبل المذهب ، لا تفرق بـين مسلم ونصراني ، لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة شيئاً غير شعشعة ضياء الحق او انطوائه وانزواء نوره في اعماقنا ، و بالرغم من ان الكتب السماوية المنزلة قد تدعي في تفسير البشر لها غير ذلك .. ولا نزال حتى ايامنا هـذه ، نتألم مما اورثه ايانا هـذا التصنيف للناس في لبنان ، على شاكلة توزيع وتصنيف الحيوانات ، إلى اجناس ، من روح تفرقة وخلط دائم بين المذهب وبين السياسة ، بين ما لقيصر وما لله .. كما وان الرواسب التاريخية المؤسفة العالقة بأذهان كثرة اخواننا المسيحيين الذين لم يمض جيل بشري بعد على تحررهم من النير العثماني وما كان يلحقهم ، في الولايات العثمانية (وكانت صيدا وبيروت وطرابلس والبقاع والجنوب تابعة للدولة التركية) ، من تفريق في هـذا المفهوم السخيف « للذميين » ، وفي طريقة تطبيقه الرجعية في الحقل الاجتماعي (وكلمة « إشمل » لا تزال ترن في بعض الاذهان) - ويجب ان نقول الاشياء على حقيقتها - كان لهذه الرواسب المؤسفة التاريخية ، التي لا يتحرر منها مجتمع بشري تماماً ، اثرها في دفع المسيحيين في طريق الزيادة من نفوذهم في المجتمع ومن سيطرتهم على الدولة ، وفي تبني نظرية اللجوء السياسي ،

خاصة وانهم رأوا ما حل بهم يوم قـام الفلاحون يطالبون بالغاء الاقطاع و بحقهم بالارض ..

هذا التمسك بأهداب الطائفية - وللدول الأجنبيــة مصلحة في نشرها وفي تعزيز فكرة الأقليـات لاستخدامهـا «كوتد جحا» في الشرق - كان بالطبع ينمي الطائفية عند الفريق المحمدي الآخر ، كلما حاول هذا الأخير ان يتنـاساه في غمرة تطور الفكرة العربية .. والطائفية تجلب الطائفية .. فكانت البلاد تقع على الدوام في الحلقة الجهنمية ذاتهـا التي تقابل حلقة المصالح الشخصية الفردية وتنبثق منها في حـركة ولادة الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة .. فحصل مع الزمن هذا التوحيد الخاطىء والخلط الموهوم ، بين اللبنانية والمسيحية او المصلحة المسيحية من جهة ، و بين العروبـــة والاسلام او المصلحة المحمدية من جهة اخرى مقابلة .. و بلغ فيما مضى هذا التناقض مبلغاً في جبل لبنان ان الشيخ حسين تلحوق كان يقول لسائله عما يجب ان تكون الخطة في هـذا الأمر أو ذاك من الشؤون العامة : انظر ما يفعل الجـانب الماروني ، وقل وافعل عكس ذلك تماماً . فالمصلحة تكون في عكس ما يقولون .. وكان معظم رجال الدين يمعنـون في

تقوية هذا الاتجاه ، لأن مصلحتهم الموهومة بدت لهم في تنمية صبغة لبنان الدينية هذه المعينة وتدعيمها ، لأنهم يرون فيها مصلحتهم في حرية المعتقد وحرية التبشير ، وضمان الظروف السياسية الملائمة لذلك .. [1]

وجاء الانتداب الفرنسي وكانت مهمته الرئيسية ليس فقط «تغريب» لبنان، و «تفرنسه» وطبعه ما امكن بما يبعده عن كل صفة ملازمة لماهيته ، بل ايضاً ابراز هذا التناقض الداخلي ، واستنفار القوى والعصبيات الطائفية وتكريس الزعامات الطائفية الزمنية والدينية .. وقد تقوت بفعل ذلك وانتشرت فكرة الوطن القومي المسيحي وتطورت في بعض الأذهان والمحافل الدولية ، الى انشاء «اسرائيل مسيحية» على هذا الشاطيء في مقابل الاسرائيل اليهودية . وكان مشروع الهلال الخصيب ينفتح كما هو معلوم لمثل هذا التصميم .. [2]

---

(١) ومن ألطف ما ورد في باب التبشير ان شيخا درزيا فاضلا من منطقة عاليه في الجيل السابق تنصر قبل وفاته بقليل .. وحار اقرباؤه بامره .. فلما سألوه عن سبب ذلك قال : «لقد بلغت السن التي كتب لي فيها ان اموت .. افليس من الافضل ان يخسر الموارنة رجلا بموتي عوض ان يخسره الدروز» .

(٢) راجع تصريحات بعض زعماء السياسيين اللبنانيين المسيحيين وبعض رجال الدين .

على ان الموجة الوطنية والعربية ما لبثت ان جرفت كلّ هذا ، ودخل لبنان الرسمي باجماع قرار نواب المجلس النيابي حرب فلسطين، وكانت فئة كبيرة من اللبنانيين ومن المسيحيين بشكل خاص اخذت تتحسس بما يشتمل عليه قيام دولة اسرائيل من خطر المضاربة على النشاط الاقتصادي اللبناني واللبناني ـ خاصة من صنف المنتج والتاجر ـ يدرك بحدسه تماماً لغة الربح والخسارة، وهي بالنسبة اليه، واكثر الأحيان، المدخل المناسب المطل على الوطنية وعلى الواجب ..

وكانت هذه الموجة الوطنية ذاتها اجبرت الهيئة الحاكمة ـ بموافقة الافرنسيين طبعاً ـ ولغاية استجلاب العنصر المحمدي المستنكف ـ ان تشرك المحمديين بالسلطة التنفيذية .. فتجيء بأول رئيس وزارة مسلم سني في عهد الرئيس اميل اده (١) .. وجرت ايضاً تسويات في حقل بعض الوظائف الكبرى .. كل هذا «التعاطف» الداخلي المشترك ، وجذب المحمديين الى شيء من الايجابية في الادارة وفي تولي الاحكام ـ بعد سلبيتهم الجماعية المستمرة منذ ١٩١٩ ، ممهداً لتسوية ١٩٤٣

(١) وكان فيما سبق ذلك رئيس الدولة مسيحياً ورئيس الحكومة ايضاً مسيحياً وكذلك رئيس المجلس النيابي ظل هكذا حتى سنة ١٩٤٣ يوم انتخب بالاتفاق العام شيعي مسلم لهذا المركز .

شأن نسبة عدد المحمديين والمسيحيين في المجلس النيابي [1] (ستة مسيحيين مقابل خمسة محمديين) ، وكما انه يشكل التحضير الطبيعي لتسوية «الميثاق الوطني» سنة ١٩٤٣ .. وكانت قد بدأت فكرة هذا الميثاق تتمخض في النفوس ويجتمع الناس من مسلمين ونصارى للاشتراك في الرأي لتقرير شيء من التفاهم حول الوضع العام منذ سنة ١٩٣٦ تقريباً ..

كل هذا التطور - بالرغم من انه اوصل لبنان واللبنانيين الى بعض التفاهم والى قاسم مشترك ادنى من الاتفاق مكنهم من تحقيق استقلال لبنان والتخلص من نير الانتداب الفرنسي ، في لفتة سانحة من الزمن - كل هذا التطور جرى في الواقع ضمن اطار الطائفية السياسية وقالبها ، ولم يبدل شيئاً مما اورثنا اياه نظام ١٨٦٤ من تكريس سياسي للطوائف والمذاهب .. ويكاد لبنان في هذه المرحلة يكون اتحاداً فيدرالياً لطوائفه ، اكثر منه دولة في المعنى السليم والصحيح .. وما زلنا بعيدين عن الوطنية بعد الأرض عن السماء ، فيما عدا طبعاً الفئات الوطنية بطبيعة نضالها ووجهة اهدافها ، وهذه

---

(١) هذه التسوية المعروفة باسم « تسوية سبيز - كاترو » وقد زيد بها عدد النواب المحمديين في المجلس النيابي ..

الأقلية المتحررة الفاعلة هي في الواقع التي تصنع المجتمع المقبل وتدفع بعجلة تطور التاريخ .. وهذه الفئات ادركت فوراً — في حدس المستقرىء البصير — ان الميثاق الوطني الذي وضع سنة ١٩٤٣ ليس هو غاية بحد ذاته ، ولا يتكوّن من شيء ايجابي يذكر [1] ، بل هو بداية انطلاق ، ومرحلة لا اكثر في سلم تحقيق مدنية الحكم والادارة والسياسة في لبنان. واذا لم يحصل هذا التطور بدافع من التوجيه العقائدي و بضغط من اكراه السلطة المعنوي والفعلي بواسطة القوانين وتبديل المؤسسات ، فان الميثاق لا بد له ان يتفسخ دون ان يحل محله مفهوم ايجابي جديد للدولة وللأمة وللوطن .. واذ ذاك لا يبقى من الوطنية الملازمة « للميثاق » في بدايات نموه واعلانه واشاعة روحيته ، سوى هذا الطلاء من الوطنية لا اكثر ، يغطي مختلف النزعات والمصالح والمطالب الطائفية المتناقضة التي كان الميثاق قد غمرها وحجبها وتعداها ، ثم عادت إلى الحياة ، يوم توقف اللبنانيون عن تحقيق المراحل التالية من التطور القومي المنشود .. واذ ذاك ايضاً يصبح

---

(١) وكان يقول جورج نقاش : « لا يتكون وطن من اجتماع سلبيتين »
« Deux négations ne font pas une Patrie »

– واصبح في الواقع – هذا الميثاق فيما عدا مفهومه للسياسة الخارجية : لا شرق ولا غرب ، لا ارتباط ولا احلاف ولا امتياز – تكاذباً مشتركاً لا اكثر ، يخفي ويظهر مطاليب الطوائف الكبرى المحمدية والمسيحية في السيطرة على الحكم وعلى الادارة ..

وجريمة الزعماء السياسيين – معظمهم وربما كلهم – منذ سنة ١٨٦٤ حتى يومنا هذا ، وخاصة الزعماء المسيحيين الزمنيين منهم ، انهم لم يعرفوا ان يخرقوا طوق الطائفية السياسية المضروب حول عنقهم ، او بالحري لم يحاولوا بهذا الحدس الداخلي الصميم لما هو الافضل ولما سيحدث في المستقبل اي ان تكون لهم سياسة الطليعة التي تهدم لتبني ، وتزيل العقبات لتتقدم ؛ لأن في الطليعة هذا الحس السادس في الانسان ، حس الصيرورة والحركة : حس الطليعة .. بل كان معظم هؤلاء السياسيين من الانتهازيين الذين آثروا السهولة في السياسة والطريق الأقل خشونة ، فامتطوا حصان الطائفية ليصلوا الى غاياتهم في التربع على كراسي الادارة والاحكام .. وما كان لانتهازيتهم تلك هذا الأثر البعيد لو لم تكن في لبنان وفي نطاق طوائفه المتعددة المتنوعة

الواناً واشكالاً .. على ان هذه الانتهازية الطائفية كانت ولا تزال تفعل كالسحر في الوسط اللبناني ـ وجعلت الحركات التقدمية في لبنان لا تتقدم إلا ببطء كبير : ثلاث خطوات إلى الامام وخطوتان إلى الوراء .. وجميع الانتهازيين يتكتلون في وجه الحركات والشخصيات المتحررة ، لأنها تحاول ان تجردهم من قوة سحرهم الوحيدة التي يبذرونها في عيون الناس ..

ولهذا السبب نجد انفسنا في لبنان اليوم كما كنا عليه قبل سنة ١٩٤٣ ، من حيث التفسخ وانعدام التفاهم والحـــذر المشترك .. وانتهت هذه الثورة الأخيرة من حيث كان يجب ان لا تنتهي .. اي ان الحكم القائم كرّس الطائفية السياسية من جديد ـ نصف بنصف ولا غالب ولا مغلوب ـ ، عوض أن يؤتى برجال من «الطليعة» التي اشرنا اليهم والذيـــن يستطيعون وحدهم تطوير الوضع اللبناني بحزم وبحكمة و بقوة، وتأسيس الدولة على قواعد الكفاءة والنظـام وخارج نطـاق عجلات هذه الطائفية السياسية . قد يكون لوجـود الجنود الأميركيين في لبنان آنذاك عذر فيما حصل من تسوية ،ومن تركيز مبدأ للحكم على اساس اقامية المسلمين السنة وفقاً لمقامية المسيحيين الموارنة .. ولكن هذا التقسيم اذا استمر يصبح

خطراً على لبنان وعلى كيانه ذاته .. وكيف يستطيع لبنان ان يدوم و يبقى وهـو يلعب بقشور الطائفية السياسيـة و يتلهى بصراعها الداخلي ، وحولنا في سوريا، في مصر ، في العراق، في تونس ، في الجزائر ، ـ هذا اذا اقتصرنا على بعض الدول العربية ـ فكرة القومية الجامعة المتحررة من الطائفيـة تنمو بسرعة وتجتاح وتسيطر ، والفـكرة الاشتراكيـة تتحقق في كل مكان .. كيف يستطيع هذا العضو اللبناني «المتأخر» المتخلف في القرون الوسطى ـ مـن حيث تطوره السياسي الجامد ومفهومه للطائفية السياسية ـ ان يواجه تيار القومية العربية المتحررة ، وتيار الوحدة ؟. على كل لبناني ان يطرح على نفسه هذا السؤال ..

والذي نلحظه اليوم من زاوية هذا التطور التاريخي الذي يتمخض به الوضع اللبناني منـذ بدايات القرن الثامن عشر حتى سنة ١٩١٩ ، هو ان الصراع السياسي قـام فيما مضى ويقوم اليوم ، فقط على ابدال السيطرة المحمديـة (سيطرة الدروز) بالسيطرة المسيحية (سيطرة الموارنة) اي إلى إبدال لفة الشيخ بطابية الخوري .. وعوض اليوم ان نوصي جميعنا كما يتوجب على قبعـات مدنيـة ، يعود التيـار الذي لا

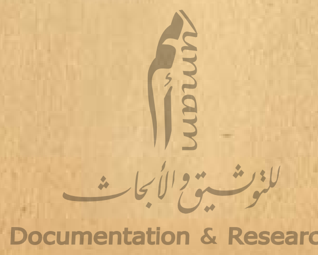
يغلب الى محاولة معاكسة في احلال السيطرة المحمدية مكان السيطرة المسيحية ــ هذه السيطرة التي لم يستخدمها اربابها وخاصة منذ عهد الاستقلال ، في تطوير الوضع الداخلي نحو الحكم المدني اللاطائفي ، وهو الكفيل وحده بجمع اللبنانيين وتوحيدهم وبصهرهم شعباً واحداً ، كما كانوا عليه قبل ان تولد فكرة الوطن القومي المسيحي وقبل ان تتمخض مؤامرات الدول الغربية الرامية الى بعث الفتنة حوالي منتصف القرن الماضي ..

احد اسباب الثورة اللبنانية الاخيرة ، كان في الابراز الذي قصده شمعون للفكرة الطائفية المسيحية ـ بالرغم من ان اكثرية البلاد اصبحت محمدية ولولا ذلك لما تمنع المسؤولون عن اجراء احصاء للمواطنين ـ في محاولة تكريس دولة صليبية ذات قومية دينية على هذا الشاطىء الصغير الجميل. هذا بالرغم من ان المحمديين كانوا ولا يزالون يقبلون بأن يكون لهذه البلاد «صبغة معينة وطابعاً متميزاً خاصاً».

في غمرة التناقض بين ما يجري حولنا وما كان يجري في عهد شمعون في لبنان ، وبين اهداف التطور المدني اللاطائفي وبين الباس لبنان طابية «اسرائيل مسيحية جديدة» قسيهافي

سخرية القدر ـ وابن غريونها ملحد دجال وعميـل اجنبي معروف ، في غمرة هذا التناقض وفي ذروة محاولة معاكسة التيار الدافع بلبنان نحو وطنية لبنانية عربية صحيحة تتفاعل وتتصل بما يجري في الأقطار المجاورة من احداث تاريخيـة جسام ، في هذا المحور الدقيق لتصارع الماضي بالحاضر والمقبل من حياة لبنان وهذا القسم من المشرق العربي ، انفجرت الثورة الشعبية اللبنانية لتلقننا جميعاً شيئاً من حقائق اعماق صيرورة الوجود ..

فهل ستنفتح امامنا ـ اذا اردنا ذلك جميعنا ـ مجازات مياه الأعماق الزاخرة بمشيئة الحياة وثروة وجوديتها وصيرورتها أم هل سنبقى ندور حول انفسنا الضيقة في بوار يجذبه ويتبعه بوار ، كالكلب الذي يدور حول جسده ليمسك رأس ذيله..؟



٦ | على عتبة التساؤل أو التشاؤم




للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

حاولنا في هذا البحث الصغير الاحاطة ، ما امكن وبشكل اجمالي عام ، بالاسباب الرئيسية التي ادت الى اندلاع ثورة لبنان الاخيرة ، فادركنا ان قصة الوضع في لبنان هي قديمة وحديثة في آن واحد ، تتشابك وتتفاعل وتتعاكس بشتى التيارات السياسية والحضارية ، كأن هذا البلد الصغير وجد ليكون محوراً لاختبار هو من صميم كيانه وجوهر حياته وروح رسالته ، وهذا الاختبار السياسي والاجتماعي والحضاري هو التأليف والجمع – في الوحدة وفي الانسجام – بين مختلف ما هو عليه من مناطق وعناصر ونزعات واتجاهات ، في طريق التطور وفي سبيل الصيرورة والحياة .. ولا يتم ذلك بدون توجيه صارم وحكيم ومتفهم في آن واحد .. فنظرية «اتركه يعمل اتركه يمر» « L ssez faire, la ssez passer » ، نظرية الليبرالية ، او الحرية المطلقة في السياسة ، هي خاطئة بالنسبة للبنان وقد اورثتنا هذه الفوضوية الفردية في حياتنا العامة والخاصة ، حتى اضحى الناس في هذا البلد من الانانية والانكماش على مصالحهم والتعلق الى حد كبير ، لا يأبهون إلا لما هم عليه مباشرة ، ولا يعون الا لما يدور في افقهم الصغير ، ولا يقصدون الا ما فيه نفع محدود .. وكأن روح الجماعة ضعفت أو تفتتت .. والانسان المواطن لا يستطيع ان

يعيش على افضل ما ينفتح عليه العيش من قيم انسانية للحق والخير والشجاعة والفضيلة والانتظام المعنوي، الا اذا تداخلت حياته روح الجماعة فجذبت واستقطبت افكاره وإرادتـــه ونزعاته الخاصة وافعاله اليها ، فعاش وعمل وناضل ما امكـن لأجل الآخرين لا لأجل نفسه .. وعالم اليوم تتنازعه وتحركه وتشده نزعتان ودائرتان: احداها تيار الديموقراطية الفردية في شكلها الانفلاتي الفوضوي بموازاة وعلى مماثلة المركانتيلية (او التجارلية) في الاقتصاد ؛ ونزعة اخرى هي الجماعية الشيوعية او الكلية الاجتماعية كما يسمونها احياناً .. وفي هـذا الوسط الذي يقوم بين هذه وتلك ، بين هذين الانجذابين والتيارين، في هذا الملتقى والتداخل والاشتراك بين الفرد والجماعـة ، في استقطاب مصلحة الفرد وانسجامها في مصلحة الجماعة ، يقوم الاختبار الاكمل والأفضل للانسان .. والاّ فعبثاً نسعى إلى رفع مستوى الفرد المعنوي وإلى اصـــلاح الجماعة ..هذا «الانسان الاجتماعي» هو الخلية الاجتماعية السليمة التي بدونها لا يقوم ولا يتحقق نظام ديموقراطي سليم .. وهذه الاجتماعية لا تتلبس المواطن إلاّ في ظل انظمة اشتراكية تعاونيـــة ، كالاشتراكية الاجتماعية التي يهدف إلى تحقيقها حزبنـا في

لبنان ..

وسياسة لبنان اليوم تجارلية (مركانتيلية) لان اقتصاده هو كذلك لا يزال يتعثر في المرحلة ذاتها التي أفاقت عليها اوروبا بعد اكتشاف العالم الجديد (الاميريكتين)، وتدفق انهر الذهب والمعادن الكريمة الأخرى اليها منه .. والعالم الجديد بالنسبة للبنان اليوم، هو هذه الأجزاء والأقطار من العالم العربي حيث ينبع الذهب الاسود، فتجري منه جداول إلى لبنان، وتصب فيه انهر اخرى من اثمان هذا النفط وبدلات استثماره، لتوظف في لبنان وتتجمد في العقارات والممتلكات الزراعية والأبنية، او تصرف في نواديه وفنادقه واسواقه .. فالانم الكنعاني لا يزال يفعل في هذا الشاطىء على ترداد و «تقمص» عجيب عبر العصور . ويعيش اليوم لبنان ـ بالرغم من تنكر بعض المضللين والجهلة من ابنائه ـ بفضل تدفق اموال الدول العربية، والخدمات التي يؤديها لبنان لمواطني هذه الدول .. ولا تتمثل التجارة الثلاثية الدولية التي يتقاضى من جرائها اللبنانيون ارباح « تصفية الصفقة »، عمولة الوسيط بين الفريقين، بأكثر من مائة مليون ليرة لبنانية (عشرة ملايين استرلينية وفق بعض

التقديرات) .. [1] بينما تقدر هذه الخدمات والتوظيفات للمال والمبالغ العربية التي تنفق في البلاد ببضع مئات من الملايين سنوياً ..

هذه المركنتيلية او الليبرالية التجارية في الاقتصاد هي التي توحي للمسؤولين في لبنان بسياسة الليبرالية المطلقة ذاتها في حقل الدولة والسياسة العامة ..

على انه لا بد للبنان ان يتحول عن نظرية « الباب المفتوح » وعن مبدأ الحرية المطلقة في التبادل والتعامل :

أولاً : لان الدول العربية المجاورة اخذت تنفذ سياسة التصميم والتوجيه الأقتصادي الشامل والتصنيع (الجمهورية العربية ، العراق الخ)، وبعض الدول العربية الأخرى اتخذت تدابير عديدة للحفاظ على ثروتها ولمنع « هرب » الرساميل

(١) تقدر الاموال التي يصرفها اخواننا السوريون وحدهم القادمين الى بيروت من القطر المجاور بما لا يقل عن خمسين مليون ليرة لبنانية سنوياً .. اما الاموال التي يصرفها الكويتيون والسعوديون وسواهم من « ابناء بلدان النفط » الذين يؤمون لبنان لشترى الاراضي والابنية ولتأسيس المصارف والشركات او للعيش واللهو فقط ، فلا يمكن تقديرها « وهي ضخمة جداً » هذا فيما عدا عشرات الالوف من اللبنانيين الذين يعملون في السعودية ، في البحرين في الكويت ، في العراق ، وفي اكثر البلدان العربية ويرسلون أموالهم الى لبنان .

الوطنية والحؤول دون استخدامها وتوظيفها بما لا فائدة منه في الخارج ؛ ثانياً لان «سياسة التجارة» ،مهما بلغت اهمية التجارة اللبنانية ، لن ترفع مستوى الفرد والمجتمع اللبناني ، من الوجهة الاقتصادية،اكثر من نسبة محدودة وحدّ معين، لا يستطيع المواطن ان يتعداه فيما بعد بل يتوقف عنده .. اما سياسة التصنيع والتوجيه والتصميم — على ما تفرضه من تقشف في بدايات تحققها ـ كفيلة برفع مستوى المعيشة بسرعة وإلى ما لا حد له .. وستبلغ الدول العربية التي تتمشى على هذه السياسة ، وبعد سنوات قليلة ، مستوى معيشة اللبناني وستتجاوزه ـ مما سيهدد وضع لبنان وكيانه ـ اذا لم نتخذ الحيطة لنسير نحن ايضاً في طريق «القافلة» .. وقافلة الجمال «هذه المرّة» قد تكون لنا اكثر دلالة لما يجب ان نفعله لرفع مستوى اقتصادنا العام وانماء وسائل تجهيزنا من قافلة السيارات التي لا نهاية لها والتي تضلل اهواءنا في شوارع بيروت.

هذه الصناعية اذا ما اتيح للبنان ان يحققها — من ضمن اتفاقات اقتصادية عربية عامة كالسوق المشتركة ، والوحدة الجمركية والكتلة الاقتصادية العربية الخ ... سيكون لها أثر بالغ في تصفية المجتمع اللبنـــاني من سموم

التفرقة وذهنية العصبيات الطائفية ، لانها تحل مصالح الفئات الاجتماعية الاقتصادية مكان المصالح الطائفية .. وستعم فائدة هذه التصفية الارياف ، على قدر ما نحرص على تنفيذ برنامج واسع وعملي للامركزية في انشاء المعامل في مختلف المناطق ، وتوزيع بعض المعامل القائمة الحالية في الارياف ..

واننا نرى ان الاصلاح الاداري ضرورة وطنية ، لان اكثر النعرات والعصبيات الطائفية تنبثق من فساد هذه الادارة . فاللامركزية الواسعة جداً يجب ان تحقق ، على الاقل لاختصار المصارفات والمعاملات ، ولمنع ارباب هذه المناطق الريفية ان يشعروا بالغبن الاعماري ، فينسبوا ذلك لوضعهم الطائفي المسيطر في هذه المنطقة او تلك ، ولكي يشعروا إلى حد كبير انهم يحكمون انفسهم بانفسهم ، مما يزيد في تعلقهم بالوضع العام في البلاد . كما وانه يتوجب انشاء وزارة تعنى بالشؤون القروية تربط بها البلديات وبعض المصالح الاخرى في الدولة ، وتعميم المدارس المهنية والحرفية وتعاونيات الانتاج والاستهلاك .. ففكرة التعاون يجب ان تشمل كل نشاط في لبنان ، اذا شئنا اعادة الوحدة وتوطيد التضامن الاجتماعي وتهوية وجهة الانسجام والانصهار

على نزعة التفكك والتشتت والانفلات ..

واذا شئنا ان نكون عمليين في هذا الباب فلا بد لنا من تأليف مجلس للخدمة المدنية مستقل عن الاهواء السياسية تناط به شؤون الاختيار والتوظيف والترقية والصرف ، وتكون لاعضائه الحصانة التي تضمن لهم القيام بواجباتهم بتجرد وحرية ، كما تتضمن ذلك قوانين الخدمة المدنية في البلاد الراقية .. على اننا جميعنا نشعر في لبنان انه يتوجب ان نعطي للشيطان بعض حصته من الطائفية السياسية لملافاة الازمة التي حاول شمعون ان يشعلها ويدفعها إلى اوجها في سعيه لتقطيع اوصال المجتمع اللبناني ، خاصة — وعلينا ان نقول الاشياء كما هي — ان الطغيان الطائفي لفريق على فريق ، باسم الكفاءة وغير الكفاءة ايضاً ، كان على اشده فيما مضى .. والذي نقترحه في هذا الباب ، كتدبير انتقالي يخفف من تأجج الشعور بالازمة ، هو صرف جميع الموظفين الذين امضوا في خدمة الادارة خمسة وعشرين سنة او ثلاثين سنة على الاكثر والتعويض عليهم ، والارتباط ببعض اصحاب الكفاءة البارزة منهم بعقود خارج ملاك الموظفين العادي ، ثم يعمد الى تحقيق التوازن الطائفي والمساواة في

الوظائف الشاغرة هذه ؛ و بعد ان يتم ذلك ، يقرر الغاء مبدأ ونص الطائفية السياسية من القوانين التنظيمية العامة ومن الادارة ، وتصبح التعيينات والترقيات على اساس مبدأ المسابقات والكفاءة العلمية والخلقية والادارية . هذا اذا لم يوفق المسؤولون في الغاء الطائفية السياسية فوراً وبدون اللجوء إلى التدبير الانتقالي المشار اليه ..

وفي كل حال يتوجب ،وبموازاة الغاء الطائفية السياسية من الادارة ؛ ان تضع الدولة برنامجاً لتحقيق الزامية التعليم الابتدائي ومجانيته ، وان تنفذ مبدأ مجانية التعليم الثانوي .. فالتخلف العلمي لبعض الطوائف والفئات هو الذي يولد هذا الشعور بالغبن وبالاضطهاد المعنوي والفعلي . و بالتالي يبرز ضرورة التذرع بالطائفية السياسية .. فالتكافؤ في فرص التعليم وتوفيره ، في الظروف ذاتها ، للجميع ، هو وجه من وجوه الدواء الذي نقترحه ..

وفي حقل آخر ، فان « التخلف الاقتصادي » لبعض المناطق اللبنانية ، الذي ينسبه ابناؤها ،على خطأ او صواب، لانتسابهم بأكثريتهم الى هذا او ذاك المعتقد ، يضيف إلى التذمر الطائفي سبباً خطيراً آخر .. ففي بعض المناطق

الريفية لا يزال الناس يقطنون في جوار حيواناتهم الداجنة، في « الزريبة » السكنية ذاتها، و بعضهم في جرود الهرمل وعكار يلجأ إلى المغاور .. والكثرة الساحقة من اللبنانيين لا تزال، حتى الساعة، تشرب مياه الآبار المجموعة، والبرك الموحلة الملوثة .. فجميع مناطق جنوب لبنان واكثر قرى البقاع و بعلبك وشمالي لبنان و بلاد جبيل والبترون والكورة هي على هذا الشكل، في بلد لا يستطيع فيه الانسان ان يحترم الدولة القائمة التي كانت تصرف في عهد شمعون اثنتي عشرة مليون ليرة لبنانية لبناء ملعب رياضي ضخم في العاصمة، بينما معظم اللبنانيين لا يتمكنون من تأمين مياه الشرب الصالحة لهم ولعائلاتهم .. لهذه الاسباب وسواها، اقترحنا انشاء وزارة الشؤون القروية والبلدية، كما اننا نطالب بانشاء وزارة للتخطيط وللاعمار تكون مهمتها الرئيسية تنفيذ برنامج شامل يتناول، في رأس ما يهدف اليه، ترقية اوضاع المناطق « المتخلفة اقتصادياً » .. كما يتوجب ان تكون اللامركزية في الادارة على اوسع ما يمكن — حتى الاستقلال الداخلي في معظم الشؤون — على شاكلة انظمة جبل لبنان القديم و « كانتونات » (مقاطعات) سويسرا .. ان الشعور بالفقر

و بالحرمان هو المرتكز الاول لبروز الطائفية السياسية ..

وهنالك وجه آخر « للتخلف » له اهميته البالغة في حياتنا كجماعة ، اساسه هذا الحرمان الذي تشعر به الفئات العاملة في السكنى وفي العيش وفي التعليم وفي ظروف التعب والبؤس والبطالة والمرض .. فعلى الدولة في لبنان ان تنفذ مشروعاً للضمان الاجتماعي ، وخاصة فيما يتعلق بالمرض و بالشيخوخة والبطالة والسكنى .. واذا لم تسيطر هذه الروح الاشتراكية الاجتماعية — هذا الشعور بالاخوة الانسانية البديهي — على المسؤولين وعلى غير المسؤولين ، فعبثاً نحاول احلال السلام والاستقرار الحقيقي في لبنان .. وستظل النقمة مستعرة ، خاصة في وجه هذا الصنف من البرجوازية المالية الضخمة التي تتصور — لانها تركب السيارات الفخمة وتسكن القصور وتأكل وتسهر في « علب الليل » وكبريات المقاهي — ان لا شقاء ، لا حرمان ، لا بطالة في البلاد ..

كذلك يتوجب في حقل الاصلاح ومنع التذمر الذي سرعان ما يعبر عنه في لبنان بلغة طائفية ، يتوجب انشاء محكمة عليا للهيمنة على القضاء ومناقشة دستورية القوانين

والبت بالطعون الانتخابية ومحاكمة المخالفين من الرؤساء والوزراء ، واصلاح انظمة هـذا القضاء ذاته في اتجـاه تحقيق السرعة والايجابية ، وجعل مجلس شوري الدولة له صلاحية النظر في كافة الترقيـات والتعيينات وفي موافقتها للقوانـين والانظمة ،وجعل الوزراء والموظفين مسؤولين امام هذا المجلس عن اعمالهم الادارية المتعلقة بالتعيينات والترقيات والصرف من الخدمة ، وتقرير مبدأ فرض عقوبة الغرامات التصاعدية على كل مسؤول في الدولة يستنكف عن تنفيذ احكام القضاء..
ويجب تقرير اصلاحات وتدابير كثيرة لن نأتي على ذكرها ونقتصر منها فقط على ضرورة تعديل مشروع قانون الانتخاب النيابي (اعتماد الغرفة السرية ، زيادة عدد النواب إلى المابة وعشرين فما فوق ، البت القضائي بالطعون الانتخـابية ، تحديد نفقات الدعايـة ، البطاقـة الانتخابية الخ) .. وفي زيادة العدد ، بشكل خاص ، تمكين للجيل الطالع الجديد من الاشتراك بالحياة العامة ، ونقل هذا الصراع بينه وبين جيل السياسيين القديم إلى داخـل الندوة .. وكثرة العدد ضمانـة للتفاهم العام .. والافضل ان تنتقل مجادلات الناس وخلافاتهم إلى داخل المجلس النيابي ذاتـه ، عوض ان تظل معظمها في

الخارج ، كما هي الحـــال الآن تستثير عواطف الشارع او الكنيسة أو المسجد أو الخلوة.. كما انه يجب ان لا يخفى علينا ما لتنفيذ الخدمة العسكرية الاجبارية (خدمة العلم) ،المقرونة بالخدمة العمرانية والاجتماعية ، من اثرٍ في بلورة الرأي العام وفي اضعاف الروح الطائفيــة ، وفي صهر المجتمع اللبناني شعباً واحداً، بما يوفره من فرص العيش المشترك والتعارف والتلاقي، في التشابك ، في العمل ، بين ابناء مناطق لبنان جميعها ..

ان مثل هذا الاصلاح للوضع العام في البلاد ، بغية توثيق روابط الوطنية والأخوة بين ابنـاء الشعب الواحـد ، وإزالة آثار الماضي البغيض ، وتمكين المجتمع اللبناني مـن ان يتقدم نحو تحقيق مدنية الدولة والسياسة ،ان مثل هـــذا الاصلاح لا يمكن ان يتم الا اذا اتخذت التدابير الفعالة للقضاء على اوكار الدس الطائفي والتآمر على سلامة لبنـان ووحدة بنيه ، اي بتصفية وضع شمعون واعوانـه المباشرين و بتصفية الحزب القومي السوري .. والّا فعبثاً نحاول الاصلاح في بلاد يعمل فيها – في مقابل الانشاء والتصويب والاعمار – معول التخريب .. من هنا نبدأ ..

ان الأسباب الحقيقية للثورة اللبنانية الأخيرة لا تزال

قائمة ولا تعالج الا بأسلوب ثوري على الأقل في روحيته وفي
نهجه .. وقد لا يستطيع في النهاية الا رجال « جدد » في
عقليتهم وفي طريقة مواجهتهم للامور، أن يتجرأوا على وصف
العلاجات الصائبة العميقة .. وبعض وجوه الجيل الجديد
المتوثب الطالع قد يكونوا اجدر من سواهم في تحقيق ما ترمي
اليه هذه الثورة من اهداف سياسية ووطنية واجتماعية .. وإلا
اذا عولجت الأوضاع اللبنانية بروح «التصفية» المسيطرة هذه
(نصف بنصف) ،اي بروح الطائفية والمسايرة والتسوية ، فاننا
نكون كمن يدفن ،إلى حين آخر وإلى ظرف مناسب مقبل ،
بذور الثورة في ارض لبنان .. وعلينا جميعاً ان نفيد من فرصة
القدر السانحة ، وأن لا نتخلى عن انفسنا ،وان نلج بشجاعة
وحزم وبصيرة وقوة طريق النهضة ذاتها التي تتمخض في
العالم العربي حولنا ، ويضج بها العالم بأسره .. فمن يتخلى عن
ركب الصيرورة والتقدم ، تنساه الحياة في سجل ارتقائها ..
ولا يلومن احد الا نفسه ..

على عتبة هذا العهد الجديد ، وفي نهاية هذه الثورة ، كم
يحلو لنا ، من وجهة التأمل والتمني — وقد لا يصلح الدنيا
مصلح الا لوقت قصير زهيد والتاريخ شاهد على ذلك —

ان نرتفع بصغائرنا وبما نحن عليه من انانية الى هذا المرتكز من الشعور والتفكير والعمل ، الذي نتخلى فيه عن التصورات المتحجرة التي تداخلت في مفاهيمنا للايمان وللحياة، ومازجت وشوهت بصيرتنا عبر العصور .. وأولها ان نقبل بأن نكون، وسط الثروة والبحبوحة وسهولة الاعمال ، كمن يعيش وسط حلم من احلام الدنيا والآخرة ، عين على ما نحن عليه ، وعين على ما هو عليه غيرنا من شقاء وجهل وانعدام .. وان يقوم بيننا او ان يكثر بيننا رجال دين ودنيا حقاً يستطيعون ان يتجردوا عن ملكوتهم الزمني، او على الأقل عن التعلق بهذا الملكوت — الفاني على حد تعبيرهم — لكي تتوفر لهم السلطة الفعلية والملكوت الإيجابي الواقعي لنشر روح المحبة والتعاون والحقيقة والفضيلة ، وان نتذكر جميعاً ـ دون تمييز او تحيز او تفريق بين هذا وذاك ـ الكلمة الشهيرة: «للثعالب اوجرتها وللطيور اوكارها ، وليس لابن الإنسان مكان ليضع عليه رأسه » ..

ثم يكون اجتماعنا والتقاؤنا عميقاً مؤنساً ، ووحدتنا مكينة مفعمة بالتسامح وبالأخوة الحقيقية، لو قبل كل منا ان يتعرى من تصور متحجر آخر اختلط بمعتقداتنا الدينية ذاتها عبر

العصور، في هذه النزعة الجاهلة للتصنيف والتمييز بين مذهب ومذهب ، وبين دين ودين ، أو بين نبي ونبي آخر .. فهذا مؤمن وهذا كافر .. وهـذا ينزل الى جهنم وذاك يصعد الى الجنة - الصعود إلى اين والنزول الى اين - .. وانما في هذا التفريق ذاته الكفر بالانسانية و بوحـــدة التدين والوطن والمجتمع والحياة .. ينظرون الى المطلق و يتطلع اليه كل منهم من وجهة محرابه ، ومن نافذة عقله الضيقة التي يدخل اليها بعض سراب نور الشمس الباهر، ويتناسون او ينسون ان الغرفة التي هم فيها لا تستطيع ان تحوي هذه الشمس :

« الجداول والانهار تسير في اوديتها المختلفة في اتجاه البحر الواحد وتفرغ فيه ماءها العذب الزلال لتزول وتذوب فيه ، فاقدة الاسم والشكل، فلا يقال فيها بعد إلا انه البحر .. » وكذلك مختلف المعتقدات والأديان في توجهها الى المطلق ..

وفي الحقيقة وفي الواقع ، هذا التمييز والتفريق هو الكفر بحد ذاته ..



دار النشر العربية
مؤسسة ثقافية عربية مستقلة
يشرف على اصدارها
فاروق البربير



بيانات ادارية

ثمن العدد ليرة لبنانيـة واحدة او ما يعادلها في بقية اقطار الوطن العربي .

الاشتراكات : لمدة سنة : ١٢ ليرة لبنانية . يضاف اليها مصاريف البريد .

المؤسسات والشركات : ٢٥ ليرة لبنانية او ما يعادلها ، يضاف اليها مصاريف البريد .

المكاتبات : دار النشر العربية : ص.ب (٣٥٠٠)
رقم الهاتف : ٢٤٣٤٦


للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research



- ولد كمال جنبلاط في المختاره، في ٦ كانون الاول ١٩١٧ .
- تلقى دروسه الثانوية في مدرسة عينطوره، ثم سافر الى باريس حيث درس سنة واحدة في معهد « السربون »، حصل خلالها على شهادتين: الاولى في علم الاجتماع والثقافة والثانية في علم النفس والتربية ..
- درس الحقوق في الكلية اليسوعية ومارس المحاماة سنة واحدة في مكتب الاستاذ كميل اده ..
- انشأ معملا للكيمياء في لبنان .. لاستخراج مادتي « القطرون » و « الأسيد » وغيرهما ..
- فاز بالنيابة لاول مرة عام ١٩٤٣ عن الشوف .
- اشترك في مؤتمر الاحزاب الاشتراكية ـ الاسيوية الذي عقد عام ١٩٥١ في نيودلهي. كما مثل لبنان عام ١٩٥٢ في مؤتمر « حرية الثقافة » الذي عقد في سويسرا .
- ترجم عدة كتب عن الهندية .. منها كتاب « الاوبا نيشاد » الذي ظهر منذ ١٢٠٠ سنه .
- له كتاب شعر باللغة الفرنسية تحت التحضير .. وله كتاب آخر ظهر باللغة الفرنسية اسمه(Democratie Nouvelle) الديموقراطية الجديدة .. ترجم عن الهندية مجموعة من القصائد الصوفية اسمها « في وهج التوحيد » .
- اسس الحزب التقدمي الاشتراكي عام ١٩٤٩ وهو من مؤسسي الجبهة الاشتراكية الوطنية عام ١٩٥١ .
- فشل في انتخابات شمعون المعروفة عام ١٩٥٧ !..
- كان قائد الثورة الأخيرة اللبنانية في منطقة الشوف ..
- حارب الفساد، والانحراف في السياسة اللبنانية الخارجية، ودعا الى توثيق التعاون العربي ..
- يؤمن بالاشتراكية، وب... التضامن الاسيوي ـ الافريقي ومحاربة الاحلا... ...ر السلام ...

الثمن ليرة ونصف لبنانية

توزيع المكتب التجاري
بيروت